476

HARLEQUIN

روايات أحلام

درب الجمر

تريش موراي

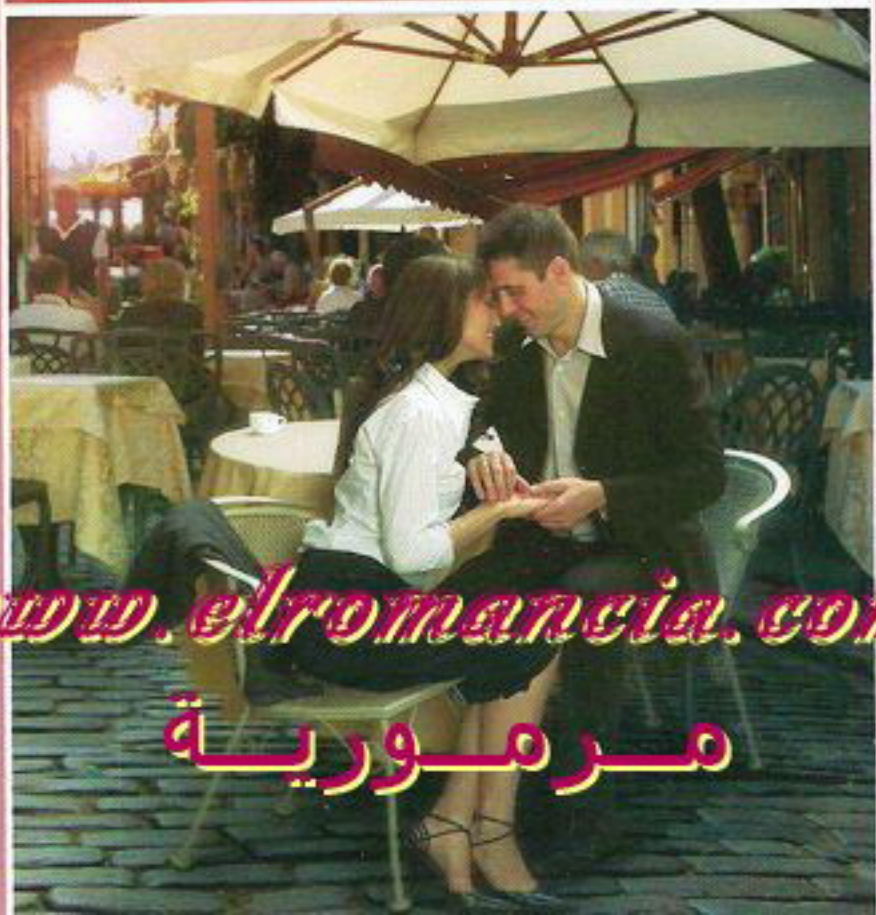

www.elromancia.com
مرمورية

درب الجمر

إنه لا يزال ينظر إليها كواحدة من النساء اللواتي يبحثن عن الذهب . زاين باستياني يظن أنها حاولت أن تسلب والده كل ما قدرت عليه . وترددت روبي . وللحظات قليلة بدت لها إمكانية الرحيل والهروب من هذا الخطر المحدق . أمراً في منتهى الروعة . إنها لا تريد العمل بجانب زاين فهذا مخيف . ولكنها تفضل الموت على السماح له بأن يدفعها للرحيل .

قالت له : " أنت لم تفهم ما قلته . أنا لا أريد مالك . لا يمكنك شراء حصتي وإبعادي عن الشركة " .

- لكل شخص ثمنه .

رفعت روبي نظرها إليه وابتسمت : " إذاً ربما عليك مواجهة واقع أنك لا تستطيع تحمل ثمني ! " .

قال محذراً : " لن تبقي . لن تتحملي البقاء عشر دقائق بعد عودتي من لندن . هذا إذا بقيت حتى ذلك الوقت . عندها ستتوسلين كي أشتري حصتك لتغادري ... لتأخذي المال وتهربي " .

كورت روبي شفتيها قبل أن تجيبه : ما من سبيل لأبيعك حصتي . أفضل الموت على أن أتركك تتحمل مسؤولية هذه الشركة " .

تريش موراي

كاتبة أسترالية أمضت جزءاً من حياتها في نيوزيلاندا وبريطانيا. وهي الآن تعيش مع زوجها وبناتها الأربع في منطقة مميزة من جنوب أستراليا، تكثر فيها البساتين وتزورها حيوانات الكنغر والكوالا من حين إلى آخر.

عشقت تريش القراءة منذ نعومة أظافرها. ألفت كتابها الأول بسن الحادية عشرة ثم أبعدتها الحياة والانشغالات العائلية عن هوايتها. ولكن ها هي تغوص مجدداً في تأليف الشخصيات والروايات العاطفية. وكان نشر كتبها حلماً تحوَّل إلى حقيقة.

زوري موقع تريش على العنوان التالي:

www.trishmory.com.

١ - عودة مفاجئة

مشى زاين باستياني بسرعة على الإسفلت في مطار بروومي الدولي، فشعر بالرطوبة التي تميز فصل الأمطار المتأخرة تطبق عليه بشدة. رفع نظره إلى السماء بانزعاج، إلى حيث تنبعث هذه الحرارة بقسوة وبلا رحمة. نسي أن الطقس هنا يتميز بالحرارة الشديدة. كما غابت عن ذاكرته أمور أخرى أيضاً، مثل السماء الزرقاء الباهرة، الهواء العابق بطعم الملح والنور الساطع. تسع سنوات عاشها في طقس لندن الغائم، حيث الأبنية الرمادية الإسمنتية غيرته تماماً، حتى إنه يشعر الآن بالغربة في بلده الأم.

تسع سنوات!

من الصعب عليه التصديق أن هذه الفترة الطويلة مرت منذ أن غادر، وليس لديه إلا اسمه والاقتناع الراسخ بأنه سيحوله إلى اسم كبير لامع. لم يضيع دقيقة واحدة من وقته، وهو الآن يملك شقة تطل على البحر في تشلسي، وشاليهاً في كلوستر، ويحتل مركز رئيس لجنة أكبر مصرف للتجارة في لندن، ولا شك أنه على أفضل حال.

في كل يوم من تلك السنوات التسع راح ينتظر اتصالاً هاتفياً من والده يعترف له فيه أنه أخطأ، لكن عندما وصل الاتصال أخيراً، لم يأتِ من والده على الإطلاق. أكد له الطبيب المتصل قائلاً: «حالته ليست خطرة، لكن لورانس طلب رؤيتك».

في الواقع، تعرض والده لأزمة قلبية، لكن بعد تلك القطيعة بينهما، فلا بد أن أي طلب منه يستحق الاستجابة. استقل زاين أول طائرة مغادرة

من لندن إلى أي مكان يجعل الوصول إلى المنطقة النائية في شمال غرب أوستراليا أسهل وأسرع. أمنت له بطاقته المالية البلاتينية كل التسهيلات الممكنة. حرك زاين كتفيه ليريح تشنج رقبته وظهره، مستجمعاً كل ما لديه من قوة من أجل لقاء والده مرة أخرى. عندما كان زاين مجرد فتى يافع، كان لورانس باستياني أكبر من الحياة ذاتها. لطالما كان الرجل الكبير صاحب الرأي السديد والأفكار الهامة، التي لم تضعف أو تستسلم يوماً، كما يحصل للأشخاص العاديين. بدا من المنطقي ألاّ يتوقف عن العمل إلا جراء الإصابة بأزمة قلبية. لكن حتى لو حدث معه ذلك، فمن المستحيل أن يتصوره زاين الآن مستلقياً على سرير في المستشفى. لا بد أن والده سيكره ذلك، ومن المحتمل أنه خرج من المستشفى الآن، وعاد إلى المنزل.

داخل قاعة الوصول، راحت المراوح في السقف تدور ببطء فوق الرؤوس، وبالكاد تبعث لفحات هواء خفيفة باتجاه المسافرين المتعبين، الذين بدأوا بالتجمع حول مركز وصول الحقائب.

حقيبته الجلدية التي ملأها على عجل وصلت أولاً. مدّ زاين يده وأخرجها من عربة الحقائب، ثم اتجه نحو المخرج، ليصل إلى حيث تنتظر سيارات الأجرة، وقد ازداد بشدة إحساسه بقميصه القطنية الناعمة التي أصبحت أكثر ثقلاً بسبب العرق.

كم يحتاج من الوقت ليتمكن من التأقلم مجدداً مع طقس برووميالاستوائي، بعد مرور تلك السنوات عليه؟ الأمر غير هام فعلاً، هذا ما فكر به بضيق وهو يصعد إلى سيارة الأجرة، ويقول بنبرة آمرة ومقتضبة للسائق إلى أين يريد الذهاب. سيعود إلى لندن في أقرب فرصة ممكنة، وقبل أن يحظى بأية فرصة للتأقلم.

٢ - صفعة من القلب

غادر فريق الإنقاذ، وتمت إزالة الأنابيب والحقن، وأطفئت كل الآلات. يا للغرابة! لكم كرهت روبي هذه الأصوات الدائمة للأجهزة خلال الأيام الأخيرة، والتي تذكرها بتدهور صحة لورانس. أما الآن، في هذه اللحظة بالذات، روبي كلمنجر مستعدة لأن تعطي أي شيء لتسمع تلك الضجة من جديد... أي شيء يبعدها عن هذا الصمت المميت في الغرفة... أي شيء على الإطلاق، إن كان هذا يعني أن لورانس ما زال حياً قربها. لكن لورانس رحل...

شعرت بعينيها متورمتين، وهما تحرقانها بشدة، لكنها لم تتمكن من ذرف الدموع بعد، لأن من الصعب عليها أن تتقبل الأمر. إنه لأمر ظالم جداً، فلورانس باستياني ما زال في الخامسة والخمسين، وما زال شاباً ليموت في عمر مبكر كهذا، لاسيما أنه يملك رؤية وطاقة سمحتا له بأن يقود أكبر عمليات اصطياد اللؤلؤ في العالم من البحر الجنوبي. حتى الآن ما زال يبدو كأنه نائم، وما زالت يده دافئة بين يديها، لكن صدره لم يعد يرتفع ويهبط تحت الغطاء، ولم تعد رموشه تتحرك كما لو أنه يحلم، ولم يعد هناك أي استجابة للضغط على أصابعه.

تركت روبي رأسها يسقط إلى الأمام فوق صدرها، وضغطت على جفنيها بقوة محاولة أن تتخطى اليأس العميق في داخلها. لكن المنطق تخلى عنها الليلة بسرعة، تماماً كسرعة رحيل لورانس غير المتوقع، والآن كل ما تستطيع التفكير به كلماته الأخيرة لها... تلك الكلمات التي همس بها وكأنه يختنق. ضغط بأصابعه بسرعة على يدها، وتمكن

من الهمس قائلاً: «اهتمي به... اعتني بزاين، وقولي له إنني آسف».

بعد لحظة تبدل صوت الجهاز إلى صوت واحد مستمر، فشعرت روبي بالرعب على الفور. بعدئذٍ فتحت أبواب الغرفة باضطراب لتدخل الآلات على عربة، وبحركة سريعة تم إخراجها من الغرفة.

عندما سمحوا لها بالعودة كان الأمر منتهياً، ولم تحظَ بفرصة لتسأله ما الذي قصده بقوله، ولماذا يجدر بها أن تعتني بابنه الذي لم يزعج نفسه بالاتصال به منذ عدة سنين؟ أو لماذا شعر لورانس أنه هو من عليه الاعتذار عن هجران ابنه له؟ كما أنها لم تحظَ بفرصة لتسأل لورانس لماذا يتوقع منها أن تكون هي المسؤولة عن ابنه. لم يكن لديها الوقت لتمعن التفكير بالابن المدلل، فبعد الطريقة التي تخلى بها عن والده، زاين ليس مهماً بالنسبة لها. إنها الآن تعاني من خسارتها لمعلمها المخلص، فهو بمثابة الأب لها والملهم لأعمالها... والأهم من ذلك كله أنها فقدت صديقاً عزيزاً.

همست، ونبرة صوتها ترتجف من شدة الحزن: «آه... لورانس! سأفتقدك كثيراً».

فتح الباب وراءها، فشهقت وتنفست بهدوء. ينتظر فريق العمل منها أن تغادر ليتمكنوا من إنهاء الأعمال المطلوبة. قالت وهي تستدير نحو الباب: «أحتاج إلى عدة لحظات بعد، إن كان ذلك ممكناً».

لم تتلقَ أية إجابة على الفور، ولم تلاحظ إغلاق الباب ثانية، راودها شعور غريب من الضيق زحف إلى أعصابها. تصلب ظهرها كردة فعل لما تشعر به، وشعرت بوخز في ذراعيها.

- أفضل أن أبقى مع والدي بمفردي.

أدارت روبي رأسها بسرعة إلى حيث يقف صاحب النبرة الباردة كالثلج، وللحظة قصيرة شعرت بقلبها يدق بعنف لأنها تعرفت عليه، لكن الحقيقة عادت لتسيطر عليها وتبعد عنها تلك اللحظة من الفرح الزائل. آه! هاتان العينان اللتان تحدقان بها تشبهان عيني لورانس. إنهما بلون

الكراميل الداكن نفسه، أما الرموش الكثيفة المحيطة بهما فتتمتع بالجاذبية نفسها أيضاً. آه، لا! هنالك فرق بين هاتين العينين وعيني الرجل الأكبر سناً، فالأخيرتان مليئتان بمزيج من الحب والاحترام وزاويتاهما تتجعدان جراء الضحك لسماع نكتة لامعة ما أو بفرح طبيعي عند اكتشاف حبة لؤلؤ رائعة، أما العينان اللتان تنظران إليها الآن فباردتان ومتعجرفتان.

أدركت أن انطباعها الأول عن زاين هو تحذير شديد ينذر بالخطر. حسناً! حتى لو كان ابن لورانس، فهذا لا يجعل منه صديقاً لها. لغة جسده تظهر قسوته بمنتهى الوضوح. وقفته الجامدة تنضح بالعداء، وكذلك وجهه القاسي غير الحليق وشعره الأسود الأشعث القصير. إنه يقف على الأرض وكأنه يملكها، أما ثيابه التي هي عبارة عن سروال جينز يناقض لونه الأسود لون قميصه البيضاء فلم تخفف من حدة ملامحه. على العكس من ذلك فهي تظهر بقوة بشرته السمراء وملامحه القاسية. إنه يرتدي القوة والسلطة وكأنهما ولدتا معه.

دفعت روبي ظهرها المتصلب إلى الوراء على كرسيها، بينما راحت نظرته الباردة تجول عليها. عندما وصل في تحديقه إلى حيث تضع أصابعها، لاحظ أنها ما زالت ملتفة حول يد والده. شعرت المرأة بموجة من الاعتراض والانزعاج تندفع منه نحوها، لكنها أبقت يديها مكانهما عمداً. لديها الحق بأن تكون هنا حتى لو لم يعجبه ذلك، وهو غير راض على وجودها على الإطلاق كما هو واضح. مع ذلك، ومهما كانت أخطاؤه، فإن جزءاً منه يتألم أيضاً. مع أن الرجلين لم يتكلما مع بعضهما لسنوات عدة، فموت والده ما زال يشكل صدمة كبيرة عليه. قبل يوم واحد فقط توقع الأطباء أن يشفى لورانس تماماً، لذا عندما استقل زاين الطائرة من لندن، لم تكن فكرة موت والده احتمالاً مطروحاً. حتى لو كان منحوتاً من الغرانيت، لا بد أن يتأثر بما اكتشفه عند وصوله. لا يمكن لأحد أن يكون بهذه القسوة. لا أحد يمكن أن يكون مجرداً من الاحساس.

قالت، محاولة أن تبعث بعض الحرارة في هذا الجو البارد القاتم بينهما: «لا بد أنك زاين! أنا روبي كلمنجر. كنت أعمل مع والدك».

أجاب بسرعة: «أعلم من أنت».

رمشت روبي بعينيها، وتنفست بهدوء. على الفور تذكرت افتراضاتها السابقة. يبدو أنه حقاً قاس جداً ومجرداً من الاحساس. أصرت على المحاولة من جديد. عليها أن تفعل من أجل لورانس. حتى لو كانت لا تهتم البتة لزاين، فهي تريد تحقيق آخر أمنية للورانس بكل ما أوتيت من قوة. هزت رأسها، وقالت بإصرار: «يؤسفني ما حدث لوالدك. أراد بشدة أن يراك، لكنك تأخرت كثيراً».

ضاقت نظرة زاين وهو يحدق بها، فلاحظت بقوة كم تبدو عيناه ثاقبتي النظرات.

كرر قائلاً: «تأخرت كثيراً؟ آه! بالطبع، يبدو الأمر كذلك بوضوح من حيث أقف».

ارتجفت روبي بسبب الجو الجليدي السائد حولها، وتساءلت لماذا يساورها انطباع غريب بأنه يتحدث عن أمر يتعدى موت والده غير المتوقع. حاول زاين بقوة أن يسيطر على توتره المتصاعد. كان عليه أن يعلم أنه سيراها هنا، فهو لم يرَ صورة واحدة لوالده في السنوات الأخيرة إلا وهذه المرأة متأبطة ذراعه. روبي كلمنجر، شريكة والده الدائمة، ويده اليمنى. لطالما كان والده معجباً بالنساء الجميلات، وبالنظر إلى هذه المرأة الجميلة تأكد زاين أنه لم يتغير. أما هو فكل ما يريده الآن من هذه المرأة هو أن تخرج من هنا. تحمل مشقة السفر لأكثر من أربع وعشرين ساعة لكي يرى والده وجهاً لوجه. وهو لا يريد أن يشاركه هذا اللقاء أي كان، فكيف بامرأة مثلها.

أخيراً بدا كأنها فهمت الملاحظة. خفت شرر الشجار الذي لمع في عينيها الزرقاوين وهي تنهض عن الكرسي، تحركت ببطء واحتراس، وكأنها بقيت جالسة هناك لفترة طويلة. لكنها لم تبتعد عن السرير، فيما

تحركت تنورتها الرقيقة إلى ما فوق ركبتيها.

بالرغم من الارهاق والتعب الذين يسيطران عليه جراء تحمل مشقة السفر، لم تستطع عينا زاين إلا أن تلاحظا رشاقة جسمها ورقة ملامحها. من الواضح أن صفاتها لا تتوقف هنا، فهي تتمتع ببشرة ذهبية تنضح بالأنوثة وبعينين زرقاوين تحيط بهما رموش سوداء كثيفة، بالإضافة إلى شفتين مكتنزتين. لا عجب أن والده كان يبقيها دوماً إلى جانبه. تحجرت المرارة في أعماقه ككتلة كبيرة من الرصاص. لا بد أنها تصغر لورانس بثلاثة عقود على الأقل. مع امرأة بمثل هذا الجمال لا يمكن لوالده أن يتحمل أكثر، فالأزمة القلبية التي أصابته هي أمر محتم. وقف زاين يراقبها بصمت، فيما رفعت روبي اليد التي كانت تمسك بها وضغطتها على شفتيها برفق قبل أن تضعها إلى جانب لورانس. بعدئذ مالت فوقه ومررت إبهامها على جبهته. راقبها زاين وهي تحني رأسها، فيما انتشرت خصلات شعرها على ظهرها وكتفيها وهي تطبع قبلة على خد والده للمرة الأخيرة.

سمعها تهمس: «وداعاً، لورانس! سأحبك إلى الأبد».

أصابته كلماتها بصدمة قوية في أعماقه الملينة بالضغينة والعذاب. تلك الضغينة وذاك العذاب اللذان رافقاه طيلة فترة عمله في أكبر الشركات في أوروبا. لاشك أنها تقوم بهذا العرض لأجله، فهو يعلم تماماً ما الذي يستطيع الناس القيام به عندما يتعلق الأمر بالثروات. على أي حال، روبي كلمنجر موظفة في شركة باستياني لتجارة اللؤلؤ، لكن لاشك أن أعمالها تمتد إلى أبعد من تصميم المجوهرات كما هو واضح. بالطبع هي تعلم أن الشركة تساوي مئات ملايين الدولارات. أهذه هي طريقتها في المطالبة بالحصول على الشركة بعد رحيل لورانس؟ شعر زاين أن المرارة تتصاعد من أعماقه حتى حلقه، فقال بنفاد صبر: «هذا مؤثر! والآن، إن كنت قد انتهيت؟».

تصلب ظهر روبي، وتجمدت في مكانها للحظة قبل أن تمد يدها إلى

خد لورانس للمرة الأخيرة. بعدئذٍ استدارت، وبالكاد رمته بنظرة من عينيها الزرقاوين، ثم مرت قربه وخرجت من الغرفة. انتشر عطرها في الغرفة وهي تسير. إنه عطر ناعم خفيف لطّف أجواء المستشفى التي تفوح فيها روائح المطهرات.

زفر زاين إحباطه بصوت عالٍ وهو يتحرك ليقترب من السرير الذي يستلقي عليه والده. إنه متعب ويعاني من إرهاق السفر، كما أنه غاضب جداً، فالسباق الذي خاضه مسافراً حول نصف الكرة الأرضية ذهب سدى من دون أي طائل، وهو الرجل الذي يفخر دوماً أنه يسبق الموعد النهائي في كل أعماله. حقيقة أنه خُدع هذه المرة تمزقه وتؤلمه حتى العظم. أما الأسوأ من ذلك كله فهو إدراكه مع كل ما يجري من حوله، أنه ما زال يترنح بسبب رائحة عطر آخر امرأة يمكنه أن يفكر بها، وهي عشيقة والده!

* * *

- أتريد أن أوصلك إلى المنزل؟

وقفت روبي خارج غرفة لورانس لمدة عشرين دقيقة بانتظار خروج زاين. عندما فعل ذلك أخيراً، تجاهلها وسؤالها متعمداً، واتجه مباشرة نحو مكتب الممرضات ليتحدث مع الفريق الطبي. لو عاد الأمر إليها لما اهتمت مطلقاً له. ما همها أين سيقيم أو كيف سيصل إلى مكان إقامته؟ أمنيتها الوحيدة هي أن يبتعد ويختفي، لكن طلب لورانس بقي يتردد في رأسها: اعتني بزاين! التمس لورانس ذلك منها. إن كان هو قادراً على إظهار حبه لابن لم يزعج نفسه بالاتصال به طوال تلك الفترة، فهي على الأقل تستطيع أن تكون لبقة معه، ولو من أجل لورانس فقط.

ابتعد أحد العاملين في المستشفى، ليعود بعد قليل حاملاً حقيبة من داخل غرفة الممرضات سلمها إليه. إذاً، أتى زاين مباشرة إلى هنا من المطار، وهو بحاجة إلى من يقله إلى منزله. نهضت روبي عن الكرسي محاولة أن تنسى كم تكره هذا الرجل، وكررت قائلة: «أتساءل إن كنت ترغب في أن أوصلك إلى المنزل».

استدار زاين لمواجهتها، فيما بدت ملامح وجهه أكثر قساوة وهو يرمي بالحقيبة إلى ما وراء كتفه. حركته تلك أبرزت صدره العريض، عارضة بكل وضوح قوة عضلات ذراعيه. مع أن قامته مشابهة لقامة والده، لكنه يفوقه طولاً ويبدو أكثر قوة مما كان عليه لورانس يوماً. شعرت روبي بنفسها صغيرة بقربه.

- سمعتك.

- وما رأيك؟

- أستطيع الذهاب في سيارة أجرة.

- لا جدوى من ذلك، ما دمت ذاهبة إلى هناك، في مطلق الأحوال.

- أحقاً؟

رفع حاجبه، بينما لمعت عيناه، وبدا كأنه أحرز نصراً ما وهو يتابع: «ولماذا تفعلين ذلك؟».

ترددت روبي للحظة، فالاتفاق الذي كان بينها وبين لورانس والذي تم كأنه أمر طبيعي، بدا فجأة كأنه يدق أجراس الانذار حولها. الأمور ستتبدل قريباً جداً، فمشاركة المنزل مع لورانس الذي كان بمثابة والد لها بدت أمراً طبيعياً ومناسباً، أما مشاركة المنزل مع ابنه فأمر مختلف تماماً، لاسيما أنه يظهر عداوته الصريحة. شعرت روبي بالمرارة تجتاحها وتظهر على خديها وهي تجيبه متلعثمة: «لأنني... أعيش هناك».

لوى زاين شفتيه باستهزاء وهو يفكر: عشيقة في المنزل!

قال: «يبدو ذلك مريحاً وملائماً. لا بد أن أبي استمتع برفقتك».

رفعت روبي ذقنها إلى الأعلى، واستمرت في التحديق بعينيه وهي تجيب: «والدك رجل رائع. كنا نتشارك صداقة قيمة جداً».

علق زاين بلا اكتراث: «لا شك بذلك».

آخر علاقة كلفت لورانس احترام ابنه له والانفصال الكامل بينهما كأب وابنه، لذا فإن زاين مصمم على عدم السماح لهذه العلاقة بأن تكلفه أي شيء.

* * *

صحيح أن المسافة قصيرة بين المستشفى والمنزل، لكن الهواء البارد في سيارة البي أم دبليو جعل الرحلة في داخلها أفضل كثيراً من السير. أمضى زاين الرحلة القصيرة محدقاً إلى الخارج من النافذة، ليعاود التعرف على المنطقة المجاورة للمنزل، ومحاولاً أن يتجاهل العطر الذي يذكره بصاحبة هذه السيارة بالتحديد، ورفيقته في الرحلة. لحسن الحظ أنها لم تتكلم، فلديه الكثير من الأمور التي يجدر به أن يتعاطى معها بدلاً من الاستمرار في الشجار، كما أنه يشعر بآلام حادة في مختلف أنحاء جسده بسبب الارهاق الذي لحقه جراء الرحلة الطويلة والخسارة غير المتوقعة. ذلك كله يسيطر عليه ويخدر حواسه وفكره. هناك أمران مؤكدان: الأول هو أن أباه مات، أما الثاني فهو أن حياة زاين باستياني تبدلت بشكل جذري، لكن هناك إمكانية ضئيلة فقط بأن تكون قد تبدلت للأحسن.

وجهت روبي السيارة إلى الطريق الخاصة للمنزل، وأوقفتها أمام بيت منبسط قديم الطراز. كان هذا المكان منزل زاين خلال السنوات العشرين الأولى من عمره. خرج من السيارة ببطء، وهو يشعر فجأة بدفق من الحرارة لا علاقة له مطلقاً بحرارة الشمس المشعة وهو ينظر إلى المبنى. بني المنزل في العام ١٩٢٠ عندما كانت أصداف اللؤلؤ توازي ثقلها ذهباً، وهؤلاء الذين يملكون قوارب صيد اللؤلؤ كانوا كالملوك. أحيط المنزل بشرفات واسعة، تدعو الهواء المنعش البارد لدخول المنزل عبر نباتات وأزهار البوغنفيلية التي تغطي السياج المتشابك. بدا المنزل فارغاً من الداخل.

تحركت المرارة في جرح بالكاد شفي بالرغم من كل السنين الماضية. لطالما أحبت أمه هذا المنزل، فالجدران المغطاة بالنباتات والغرف ذات السقوف العالية والبلاط الخشبي، كذلك النوافذ الواسعة بنيت لتسمح للنسيم العليل أن يطوف في أرجائه. كما أنها أحبت الحدائق الاستوائية التي تحيط به، والتي توشك أن تتحول إلى غابة تخفي المنزل

لولا تشذيبها والاعتناء بها بشكل دائم. وشعر بشيء يتصلب في أعماقه. شعر به يكبر ويكبر حتى فتت قلبه، تمتم كأنه سيختنق: «أهلا بعودتك».

- هل أنت بخير؟

امتص زاين كلماتها أكثر مما سمعها، وبدا هذا عنصراً إضافياً جعله يستعيد الذكريات التي جذبته من جديد إلى الماضي. قال من دون تفكير، كأنه يسرد قصة سمعها مراراً من أمه: «اشترى جدي هذا المنزل من أحد أكبر أسياد اللؤلؤ. كان لورانس حينها طفلاً، وكانت صناعة اللؤلؤ في تراجع. وضع جدي كل ما يملكه في إنشاء ثقافة وتكنولوجيا جديدتين لصناعة اللؤلؤ. كان حلمه أن يصبح الأول في جيل جديد من أرباب هذه الصناعة».

قالت: «هذا ما فعله بالتحديد، فجدك ولورانس تركا ميراثاً كبيراً، ولؤلؤ باستياني الآن يساوي ثروة».

مرت كلماتها كالسكين في أفكاره، مقطعة إياها إلى شظايا، فأعاد اهتمامه إليها محدقاً بها.

ما بال هذه المرأة؟ آتي لم تكن تستطيع التوقف عن التفكير بالمال أيضاً، حتى في آخر موعد غير متوقع لهما، وذلك قبل يومين فقط من رحيله اليائس من استراليا، والذي تبين الآن أن لا جدوى منه. دفعته للتعويض عليها كي تقتنع أن علاقتهما انتهت، وعندما ضحك بصوت عالٍ بدأت بالبكاء، وألقت اللوم على الفرص التي خسرتها، مع العلم أن زاين كان يهتم بها كثيراً. ربما كان في ذلك بعض الحقيقة، فقد أقدمت على حبك العديد من المؤمرات لتتمكن من الارتباط به، ومع ذلك لم تستغرق وقتاً طويلاً لتجد بديلاً عنه. هذا إن لم تكن قد عملت على إيجاد زوج لها حتى وهي معه. إنها في الواقع فاتنة الجمال، ذات بشرة بيضاء وأنوثة طاغية جعلته يرغب في حمايتها منذ البداية، حتى اكتشف أنها تستغل هذه الأنوثة لأمور أخرى. على الأقل هو الآن حر بدونها وبدون ميولها الطفيلية، فقد اكتفى من النساء الانتهازيات حتى آخر واحدة منهن.

سألته روبي: «هل هناك ما يزعجك؟».

بدا واضحاً أنها منزعجة من تحديقه بها.

أبعد نظره، ليأخذ حقيبته من صندوق السيارة ويغلقه بقوة، قائلاً: «لندخل إلى المنزل».

تطايرت تنورتها حول ركبتيها وهي تصعد الدرجات القليلة لتصل إلى الشرفة. مرة ثانية وجد زاين نفسه متعلقاً برائحة عطرها التي تعكس مدى غرورها وكبريائها. احتاجت عيناه إلى لحظات كي تتمكنا من التأقلم ما إن دخلا المنزل الأنيق. نظر حوله... صحيح أن المنزل بني منذ أكثر من تسعين عاماً، لكن أمه حرصت على تجديده عبر السنين، وأمنت له كل التسهيلات الحديثة مع الاحتفاظ بالطابع العام للمنزل. تنفس زاين بارتياح عندما أدرك أن سيطرة روبي على المنزل لم تغيّر رؤية أمه له.

قالت روبي وهي تستدير قليلاً نحوه: «طلبت من كيوتو أن يعد لك غرفتك القديمة إذا ما رغبت في البقاء في المنزل».

- أما زال كيوتو هنا؟ من المؤكد أنه لم يعد قادراً على العمل الآن.

كاد زاين ألا يصدق أن كيوتو ما زال حياً، فصياد اللؤلؤ الياباني عمل في هذا المنزل مذ كان زاين طفلاً. عمل في البداية طاهياً ثم مدبراً للمنزل، وكان يبدو عجوزاً عندما كان زاين ولداً يلعب في أرجاء المنزل.

هزت روبي رأسها، وظهرت ابتسامة ناعمة خاطفة أضاءت ملامح وجهها للحظة قبل أن تقول: «إنه يشرف على الأعمال الآن. لدينا طاه وعاملة للتنظيف».

لاحظ كيف اختفت ابتسامتها ليعاودها الحزن وهي تتابع: «لكنني طلبت منه أن يذهب إلى منزله اليوم. انهار تماماً من الحزن على لورانس».

ضغطت على شفتيها بقوة، واستدارت لتدير ظهرها له، لكن ليس قبل أن يلاحظ اضطراب صوتها، والحركة المرتجفة لفمها وهي تلفظ الكلمة الأخيرة. إنه احتمال من اثنين: إما أنها تحاول بشدة ألا تبكي أو أنها

تحاول بكل ما لديها من قدرة أن تجعله يعتقد أنها تبكي، كما كانت تفعل آني. بإمكان آني أن تكتب أطروحة عن الاستفادة من دموع المرأة، مع أنه يشك أنها ذرفت يوماً دمعة واحدة صادقة. من المحتمل أن هذه الصفة من مستلزمات العمل لدى المرأة!

تمتمت روبي وهي لا تزال تدير ظهرها له، فيما بدت نبرة صوتها منخفضة ومتألمة وهي تحف جبهتها بيدها: «حسناً! أنا متأكدة أنك لست بحاجة لي لأرشدك إلى غرفتك. سأتركك لتستقر وترتاح».

بإمكانه أن يبتعد عنها، ويسير بشكل مستقيم عبر الممر ليصل إلى غرفته القديمة. بإمكانه أن يتجاهلها ويجعلها تعلم أن كل ما تقوم به لم يؤثر به مطلقاً. عليه أن يفعل ذلك... لكن الرغبة في أن يظهر لها أنه لم يسقط في حبائل خداعها بدت أقوى منه. عليها أن تعلم أنه يعرف كل الألاعيب التي تمارسها النساء عندما يتعلق الأمر بالمال، وأن أياً من هذه الخدع لن تنطلي عليه. مدّ يده إلى كتفها، متجاهلاً ارتجافها المفاجئ من لمسته، وأدارها لتنظر إلى وجهه.

سيطر على مقاومتها ممسكاً ذقنها بيد واحدة، حتى لم يعد هناك من وسيلة تسمح لها بتجنب النظر إلى عينيه أكثر. ببطء وعلى مضض، رفعت روبي نظرها حتى بانت عيناها تماماً لعينيه. في اللحظة الأولى لاحظ زاين الرموش الرطبة والدموع، وعلم أن عليه الاعتراف أنها ماهرة جداً إن كانت تستطيع استحضار دموعها بمثل هذه السرعة، لكنه بعد ذلك رأى ما في أعماق عينيها، وهذا أصابه في الصميم. رأى هناك ألماً، وضياعاً، وإحساساً لا يحتمل بالخسارة. تلك الأشياء لاقت صدى في مكان دفين في أعماقه. بدا كأن شيئاً ما يتلوى ويتعذب في عينيها، وكأنها تعري روحها أمامه، لكن ما شعر به إحساس مقلق وغير مريح، كما أنه غير مرحب به. لاحظ زاين كيف ضغطت على شفتيها بقوة عندما انحدرت دمعة وحيدة من زاوية عينها. بسرعة وبدون أي رغبة منه، تصرف باندفاع غريزي، فأبعد يده عن ذقنها، ومسح الدمعة عن خدها

بإصبعه بنعومة. أغمضت روبي جفونها، وفتحت شفتيها وهي تتنفس بسرعة، فشعر بها ترتجف من جراء لمسته. ليس هذا ما توقعه على الإطلاق!

- هل أنت حقاً تهتمين له؟

سؤاله أظهر تماماً ما يفكر به، وبأنه غير مصدق أبداً لما يحدث أمامه. لكن فات الأوان لإصلاح الأمر. فكرة أن لورانس يعني لها أكثر من مصدر للرفاهية والمال أزعجته، وأرهقت أعصابه وحواسه.

تحركت روبي مبتعدة عنه، تاركة يده تسقط إلى جنبه، وهي تتراجع نحو أريكة من الخيزران.

- هل من الصعب تصديق ذلك؟ جعل لورانس الاهتمام به غاية في السهولة.

بدّل اعترافها السريع كل شيء، محولاً أفكاره المربكة إلى غضب صارخ في لحظة واحدة، ما إن عادت الحقائق تظهر له في موقعها الصحيح. جعل لورانس الأمر غاية في السهولة! لم تتظاهر، ولم تتوخ الحذر، بل اعترفت بما كان يجري بينهما من دون أن يرف لها جفن! هذا تماماً ما توقعه. لا عجب إذاً أنها تشعر بمثل هذا الحزن. لقد خسرت من كان يدللها ويغرقها بأمواله.

- صحيح! أراهن أنه كان كذلك.

اقتربت روبي منه وهي تميل برأسها، كأنها لم تسمعه جيداً. قالت: «لست متأكدة أنني فهمت ما تقوله. ماذا تقصد بكلامك بالتحديد؟».

- ليس من الصعب تفسير ما قلته. رجل عجوز ثري لديه ضعف أمام السيدات الجميلات، كما أنه قادر على الحصول على واحدة بقربه طوال الوقت.

لو لم يكن زاين مرهقاً جراء السفر والبقاء مستيقظاً خلال عدة رحلات في الطائرات مع تغيير، لربما كان ليحظى بفرصة لمواجهة هجومها التالي، أما في حالته هذه فلم يدرك ما الذي سيحصل له.

صفعت راحة يدها خده، فشعر كأن رصاصة من مسدس أصابته.

على الفور انسحبت روبي إلى الوراء وهي تشعر بالرعب. اتسعت عيناها، ووضعت يدها المعتدية على فمها. بدت بشرة خده حمراء اللون، لكنه لم يقم بأي ردة فعل حسية. شعرت روبي بالصدمة تنحسر بعيداً عنها، وبدأت دقات قلبها المتسارعة تهدأ لتواجه الغضب الذي يشع من عينيه ويحرقها. قال: «يبدو أنك ماهرة جداً بالضرب».

حرك فكه من جهة إلى أخرى، ثم ضاقت عيناه من جديد وهو يحدق بها، كأنه يقيّمها من جديد.

- ليس أكثر مما تستحق.

هو من جلب ذلك لنفسه. لماذا يفكر على هذا النحو بلورانس؟ لماذا يسيء الظن بها أيضاً؟ تابعت: «ولا تظن أنني سأعتذر، فأنا لست مستعدة لتحمل تلك التفاهات منك».

- ألأنك لا تستطيعين تحمل سماع الحقيقة؟

- أنت... غير معقول! هل تصدق حقاً أنني هنا لأجل مال لورانس؟

- معظم الناس يشعرون بالاغواء بسبب المال.

- إذاً، أنا لست مثل معظم الناس. أنا لا أريد ماله، ولم أفكر مرة بذلك.

- لكنك تعيشين معه، وهو رجل متقدم في العمر، ويصلح لأن يكون والداً لك.

ضحكت روبي بصوت عالٍ. علمت أنها إن لم تضحك فقد تبكي بسبب الظلم الذي تشعر به. إنه مخطئ، فهو لا يعرف والده جيداً، ولا يعرفها مطلقاً. إنه لا يعلم شيئاً. قالت بهدوء يفوق كثيراً ما تشعر به: «أشعر بالشفقة عليك. من الواضح أنك لا تعرف مطلقاً كلمات مثل الصداقة والتعاطف».

أطلق زاين زفرة مظهراً عدم تصديقه، فارتفع غضبها إلى حالة من الخطر مجدداً. لكنها هذه المرة بقيت مسيطرة تماماً على نفسها. عليها أن تتذكر ما طلبه منها لورانس! تنفست بعمق، محاولة بقوة أن تبقى هادئة

ومنطقية على الرغم من تهجمه عليها. هزت رأسها قائلة: «إن كنت غير قادر على إظهار أي احترام أو حب لوالدك، فهذا لا يعني أن على الجميع أن يتصرفوا مثلك».

ضاقت عيناه معبرتين عن سخط واضح، قال: «أتقولين لي إنك توليت الاهتمام به بسبب طيبة قلبك، وبقيت معه فقط لكي يحظى بشخص قربه؟ من جهة أخرى، هل تتوقعين مني أن أصدق أنك أحببته؟».

- على شخص ما أن يفعل ذلك، فالله وحده يعلم أنه لم يحظَ منك إلا بالعذاب والحزن.

ابتعدت روبي بسرعة راغبة في الرحيل من هنا، متمنية أن تبتعد عنه قدر ما تستطيع، لكن قبضة فولاذية على ذراعها أوقفتها في مكانها، ومنعتها من الهروب. استدارت وهي تشعر بالسخط، لكن الاعتراض مات على شفتيها في اللحظة التي رأت فيها وجهه.

- لا تحاولي أن تأخذي دور ممثلة الأخلاق العالية معي. لا فكرة لديك مطلقاً عن شعوري نحو والدي أو عن أسبابه، فأنت لا تعرفين شيئاً على الإطلاق.

شدت قبضتها محاولة أن تبعد يدها عن قبضته، لكنها لم تنجح بذلك. لذلك وبدلاً من أن تبتعد اقتربت منه أكثر. اقتربت إلى درجة استطاعت معها أن تشعر بالغضب ينبعث منه كما تنبعث الحرارة من النار. لكن غضبه لم يكن شيئاً بالمقارنة مع غضبها، قالت توافقه، وهي تلوي شفتيها بازدراء: «أنت على حق، لا فكرة لدي مطلقاً عما تشعر به، لكن غلطة من هذه؟ أهي غلطتي، لأنني كنت هنا عندما احتاج والدك إلى المساعدة، أم إنها غلطتك لأنك لم تهتم بما فيه الكفاية لتكون هنا بنفسك؟».

٣ - صندوق الأسرار

بعد مرور ساعات، ومع بزوغ الفجر وانحسار ظلام الليل، تخلى زاين عن فكرة الاستسلام للنوم. استلقى على سريره في الغرفة التي كانت غرفته لأكثر من نصف عمره. ما زالت الصور والجوائز التي نالها في المكان الذي وضعها فيه بالتحديد. فقط لو أنه يستطيع إغماض عينيه، لاعتقد أنه لم يغادر هذا المنزل مطلقاً. لكنه يعلم أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، كما أن الساعات القليلة الأخيرة برهنت له أن كل ما يفكر به هو امرأة في عينيها ألسنة من نار، ولسانها حاد كالمبرد. امرأة ولدت كحورية وتقاتل كالنمرة. ليلة البارحة، عندما ثار غضبها وصفعته، لم تحاول التراجع قيد أنملة عن موقفها. توقع زاين أنها ستواجهه بالمزيد من الغضب والجرأة. حتى عندما وافقته في آخر تبادل للكلام بينهما، أجابته بنقد لاذع وهي تغادر. وعندما جذبت ذراعها من قبضته من جديد، لم يجد أي خيار أمامه إلا أن يدعها ترحل.

يا لها من امرأة شجاعة! تقلب مرة أخرى في السرير محاولاً أن يجد بعض الراحة. تساءل كيف تراها تتصرف مع عشيقها... يمكنه أن يراهن أنها مليئة بحيوية تفوق ما هي عليه في حياتها اليومية. لكم وسادته للمرة الأخيرة قبل أن يتخلى عن فكرة النوم كلياً. نهض من السرير وأخذ يتجول في الغرفة. مرر يديه في شعره الأشعث محاولاً التفكير في المشاكل التي يعاني منها. ما الذي يحدث له بحق السماء؟ ما همه كيف تتصرف روبي مع عشيقها.

من جهة أخرى، هناك الكثير من المشاكل الضاغطة التي تشغل باله

الآن، والتي يجدر به التعامل معها. أولاً عليه الاهتمام بأمر الجنازة، كما أن هناك مستقبل العمل هنا. من الطبيعي أن يأخذ مكان والده في الوقت الراهن كما هو متوقع، لكن عليه أن يضع خططاً أكثر فعالية في ما بعد. ربما من الأفضل أن يبدأ بالقيام بذلك قبل أن تتمكن روبي من التدخل. من المحتمل أنها تحتل مكاناً رفيعاً في حياة لورانس العاطفية، لكنه الآن هنا، ولا شك أن الأمور ستتبدل جذرياً.

* * *

وجد زاين كيوتو بانتظاره ما إن دخل إلى المطبخ. أخيراً ها هو يشعر ببعض الراحة بعد الاستحمام مطولاً وارتداء ثياب نظيفة. رحب كيوتو به بصوت عالٍ وهو يقترب منه: «سيد زاين!».

بدا كأن وجهه المجعد يتلوى بين الألم والفرح لرؤيته وهو يتابع: «كم تسعدني رؤيتك في المنزل من جديد! أعددت لك فطوراً مميزاً».

فجأة لفته ذراعان قويتان بقوة في عناق خاطف، قبل أن يتركه كيوتو ويعود بسرعة إلى عمله في قلي البيض كأنه لم يلمسه مطلقاً. ابتسم زاين لنفسه، فما زالت لغة كيوتو عرجاء كما كانت، لكنه لا يستطيع أن يتذكر مرة لم يكن فيها قادراً على التعبير عن عواطفه.

قال له زاين بصدق: «تسعدني جداً رؤيتك من جديد، كيوتو».

هز كيوتو رأسه بأسف وهو يقدم له طبقاً مليئاً بالطعام: «أنا آسف جداً لما حدث لوالدك».

- شكراً.

ما إن وضع كيوتو أمامه القهوة الساخنة وطبقاً مليئاً بالتوست بجانب طبق الطعام، حتى شعر أن خسارة هذا الأخير أكبر من خسارته. ابتعد كيوتو وهو يتحدث مع نفسه، فيما بدأ زاين بتناول الطعام في الغرفة الواسعة المطلة على الحديقة المليئة بالأزهار. مضت ساعات على تناوله آخر وجبة حقيقية، وهو لطالما أحب ما يعده كيوتو من طعام، فكيف وهو في هذه الحالة. ثم عاد كيوتو ووضع شيئاً ما على الطاولة أمامه. رمش

زاين بعينيه من جراء الصدمة الكبيرة التي شعر بها لرؤيته الصندوق الخشبي الصغير المقفل.

صندوق اللؤلؤ القديم الذي كان يحتل المكان الأبرز على مكتب والده هو الآن أمامه يتحداه ويسخر منه. إنه تذكار من عهد قديم. عندما كانت اللآلئ الطبيعية كنزاً حقيقياً، وكان الربح الأكبر النادر عندما يتم العثور على لؤلؤة لا عيب فيها، من تلك اللآلئ التي توضع داخل الثقب الصغير في القفل، وهكذا تبقى بأمان أثناء اصطياد اللؤلؤ في أعماق البحر. لكنه بالطبع لا يتوقع أن يجد لؤلؤاً في هذا الصندوق. إنه بالأحرى يحتوي على مفاجآت مزعجة.

قال كيوتو مجيباً عن سؤال لم يتفوه به زاين: «قال والدك إن هذا الصندوق لك».

أبعد زاين طبقه جانباً، ورشف آخر ما في كوب قهوته، من دون أن يبعد عينيه عن الصندوق. ازداد قِدم الخشب، وتحول لونه إلى لون نحاسي أكثر مما يتذكره. بدا القفل المعدني مليئاً بالخطوط من مرور الزمن، لكن المفتاح الصغير ما زال مكانه، يدعوه ويعذبه. من الصعب أن يكون الصندوق هو ما أراد والده أن يحتفظ به ويقدمه له، بل ما يحتويه. وزاين يعلم جيداً ماذا هناك في الداخل. هل اعتقد والده حقاً أنه لا يعلم، أم أنه قصد أن يؤثر به بسبب عودته إلى المنزل عن طريق أكبر تذكار مرير لظروف رحيله؟ لا مجال لذلك! اتخذ زاين قراره. مما لا شك فيه أن لورانس لم يطلب رؤية زاين لينهي الخلاف بينهما، بل طلبه لكي يواصل ذكر الأمر له. تجعدت جبهته بسبب تلك الذكريات المؤلمة. كان مجرد شاب يافع يومها...

أثناء عودته من عطلة مدرسية تسلل زاين إلى مكتب والده عبر الشرفة، وبدأ بالبحث والتنقيب داخل أدراج المكتب حتى لمست يده مفتاحاً صغيراً. فكر على الفور بالصندوق الموضوع على سطح المكتب... الصندوق المقفل منذ أن بدأ يعي الحياة، والذي كان دائماً مصدر حيرة

واهتمام له. وهكذا صعد على مكتب والده محاولاً أن يفتح القفل. ما إن وضع المفتاح وأداره حتى فتح من المحاولة الأولى. بإحساس كبير من فرح الاكتشاف رفع القفل والسلسلة المعدنية عن غطاء الصندوق. ما زال يتذكر كيف حبس أنفاسه وهو يرفع الغطاء لينظر خلسة إلى الكنوز التي توقع أن يراها في داخله. عاوده الإحساس العميق بخيبة الأمل، ذلك الاحساس الذي أصابه عندما وجد أنه لا يحتوي إلا على كومة من الرسائل القديمة. رفع أول رسالة منها. فتح الورقة بلا اكتراث وحدق إلى محتواها. إنها رسالة من والده إلى الخالة بوني، الصديقة المفضلة لأمه. وجد في الرسالة لائحة من الأرقام وشيئاً ما يتعلق بمنزل ودفعات شهرية لم تعنِ شيئاً لعقله اليافع. لكن لم يتسنَّ له الوقت للنظر أكثر فقد وجدته مربيته في الغرفة فمنعته من الدخول إلى هناك ثانية، وحذرته من الدخول إلى أماكن ليس عليه التواجد فيها.

للحظة تساءل زاين ما الذي تقصده بكلامها هذا، لكنه سرعان ما وجد لعبة جديدة يتسلى بها، ثم عاد إلى مدرسته، ونسي كل ما يتعلق بالصندوق. حتى ذلك اليوم منذ تسع سنوات خلت، عندما تذكر الرسالة وما حوته، وفجأة بدا كل شيء أمامه بمنتهى الوضوح. أطلق زاين زفرة قوية وهو ينظر إلى الصندوق، شاعراً بالمرارة في أعماقه. ما الذي يقصده والده بلعبته تلك ليترك له الصندوق بهذ الطريقة؟ هل يتوقع منه أن يقرأ كل ما في داخله؟ لا شك أنها رسائل غرامية تؤكد أن زاين عرف الحقيقة القذرة كلها. أهذا ما اعتقد لورانس أن ابنه يستحقه بعد غياب دام تسع سنوات؟ أهذا هو ميراثه؟ لم يستطع زاين إلا أن يبتسم بسخرية وهو يتأمل الصندوق. حسناً! لورانس لم يرغب بأن يمر الأمر بسهولة، فهو لم يكن يوماً شخصاً لطيفاً أو ودوداً، أما هو فلن يشارك بهذه اللعبة. قرأ بما فيه الكفاية منذ سنوات مضت. بإمكان الصندوق أن يبقى مقفلاً إلى الأبد.

غسل كيوتو الأطباق، وأكمل تنظيف كل ما استعمله. بعد مرور دقائق

أصبح كل شيء لامعاً من شدة النظافة. سأله كيوتو مقاطعاً أفكاره: «أتريد المزيد من القهوة؟».

هز زاين رأسه رافضاً، ثم أبعد الصندوق بدفعة أخيرة قبل أن ينهض، فهو لا يريد أي ذكريات من الماضي. لديه روبي لتذكره بها.

- شكراً لك، كيوتو. لا أريد المزيد. عليّ أن أنهي بعض الأعمال الهامة. هل هناك سيارة أستطيع قيادتها أثناء بقائي هنا؟

- أجل، بالطبع.

هز رأسه، وتابع يسأله: «لكنك عدت إلى المنزل لتبقى فيه دوماً. أليس كذلك؟».

تنفس زاين بقوة. ما يفكر به الآن بالنسبة إلى الشركة لا يتعلق بالتزامه بها على المدى الطويل، وهذا يستلزم عودة سريعة إلى لندن وإلى عمله هناك. بالطبع، لا بد من وجود عوائق عليه التعامل معها نظراً لموت والده المفاجئ. شخص ما عليه استلام مهام إدارة العمل في تجارة اللؤلؤ. سيتمكن من وضع مدير إداري بطريقة ما، لكن البقاء ليس خياره الآن.

أجاب من دون أن يعطي أي وعد: «سنرى ماذا سنفعل، كيوتو. لكن أولاً، علي التأكد من أن الشركة ستتابع أعمالها في هذه المرحلة العصيبة من دون وجود أبي كمدير وحارس لها».

علق كيوتو ملوحاً بيده كأنه يبعد عنه قلقه: «ليس هناك من مشكلة. الآنسة روبي تهتم بكل شيء، فلا تقلق».

تجمدت ملامح زاين، كأن سكيناً حادة بدأت بتقطيع أفكاره. سأله: «ماذا تقصد بقولك؟».

- الآنسة روبي هي الآن في المكتب، تتولى إدارة كل الأمور العالقة.

* * *

إنها تجلس الآن في مكتب والده كأنها تملكه. تضع الملاحظات

على جهاز الكومبيوتر النقال، وهي تدرس ملفاً وضعته أمامها على طاولة المكتب.

قال زاين معلناً حضوره بكلمات قاسية: «أرى أنك لم تضيعي أي دقيقة من الوقت».

رفعت روبي نظرها، وللحظة بدت مندهشة، قبل أن تنزل أهدابها، وتتحول عيناها إلى لون أزرق بارد كالثلج، وتمتلآن بالحذر.

- توقعت أن تنام لفترة أطول.

ابتسم بسخرية، وأجاب: «وهل اعتقدت أنك ستتمكنين من إدارة الشركة قبل أن أستيقظ؟».

قطبت روبي جبينها، وسألته: «لماذا تفكر على هذا النحو؟».

حرك يده مشيراً إلى المكتب الفخم قائلاً: «لأنك هنا، وبالكاد مضت أربع وعشرون ساعة على وفاة والدي. أنت في مكتبه، تحتلين مركزه».

وضعت روبي قلمها جانباً، واستندت إلى الوراء على كرسيها، بل كرسي والده. ضاقت عيناها وهي تنظر إليه قبل أن تجيبه: «أهذا ما يشغل بالك؟ أتخشى أن آخذ ميراثك الغالي منك، وأسرق ثروة باستياني للمجوهرات فيما أنت تنظر إلي وتراقبني؟».

قال زاين من بين أسنانه، وبنبرة لا تحمل أي شك بما يقوله: «لن تجرؤي حتى على التفكير بذلك!».

ابتسمت ابتسامة لم تظهر إلا أسنانها: «إذاً ربما من الأفضل أن تعلم أنني لست مهتمة للأمر مطلقاً».

سألها وهو يسير ليصبح أقرب إلى المكتب العريض: «إذاً كيف تفسرين وجودك هنا. اليوم السبت، وهو ليس يوم عمل كما تعلمين».

فكرت، كان عليّ مغادرة المنزل... كان عليّ الابتعاد عنك! لكنها لن تقول له ذلك. لن تعترف بأفكارها تلك حتى لنفسها. بدلاً من ذلك، استجمعت كل ما لديها من قوة لتواجه اقترابه قائلة: «هناك عمل عليّ القيام به. كنت ولورانس منشغلين بمشروع معاً في الأسبوع الماضي

عندما أصيب بالأزمة، وما زال الملف على مكتبه. كما أنني لا أعتقد مطلقاً أنه كان لينزعج لو استعرت مكتبه لفترة قصيرة».

لم يعلق مطلقاً على سخريتها. سألها: «أي نوع من الأعمال؟».

تأملته روبي ملياً وهو يلتف حول المكتب ليقف بجانبها. لاحظت أنه يرتدي سروالاً قطنياً وقميصاً ذات قماش ناعم. شعرت بالضيق مع كل خطوة تقربه منها. إنها ترتدي ثياباً رقيقة لتتحمل الحر، فلماذا شعرت فجأة أن حرارتها ترتفع؟ تباً له! هذا ما قالته لنفسها طوال الليل. الآن وبعد أن تخطت صدمة لقائهما الأول، وأصبح كل منهما يعرف تماماً موضعه من الشخص الآخر، عليها أن تبقى منيعة ضد قوته وجاذبيته الطاغية. أقنعت نفسها أنها ستجمع كل ما لديها من غضب لمواجهته، لكنها أدركت أنها تخدع نفسها. لماذا هربت من المنزل ما إن لاح أول شعاع نور في السماء؟ ولماذا تشعر بمثل هذه الحرارة لاقترابه منها، وكأنها تلامس مشعلاً من نار؟ ما زال غضبها كبيراً، وكذلك انزعاجها منه، لكن لا قدرة لديها على تجنب التأثر بهالة باستياني. الابن سر أبيه!

قدرة لورانس جعلت منه شخصاً قوياً وزميلاً يسهل العمل معه، فلديه روح رائعة وملهمة. غير أن زاين الذي يبدو أنه يحمل السمات الوراثية نفسها يجعلها تشعر بضعف لم تعهده في نفسها يوماً، وهذا يهدد مقاومتها.

سألها زاين وهو ينظر إلى الرسومات على المكتب، قاطعاً حبل أفكارها: «ما هذه؟».

- المجموعة الجديدة.

شعرت روبي بإحساس من الفخر وهو يقلب الرسومات التي ظلت تعمل عليها لستة أشهر مضت. تابعت بنبرة لا تخلو من الكبرياء: «أطلقنا عليها اسم «مجموعة الشغف»، وسوف يتم طرحها في السوق بعد ثلاثة أشهر فقط».

- أتعنين... هنا؟

- مثل كل مجموعاتنا السابقة، سنبدأ بعرض الانتاج في برووميأولاً، ثم سنعرضها في ستاروي خلال احتفال القمر، بعد ذلك سنأخذ المجموعة إلى الأسواق المحلية، فنعرضها في دار الأوبرا في سيدني لمدة أسبوع. يتبع ذلك عقد الاتفاقات مع المستثمرين، حيث سنختار أصنافاً منها للعرض في نيويورك ولندن. لا شك أنك ستشرف على هذه المعارض آخذاً مكان لورانس.

حاولت أن تظهر بعض الترحيب في نبرة صوتها، لكن سواء تأثر زاين ببرنامج العمل المطروح أم أنه أراد أن يتواجد فيه، فهو لم يظهر ذلك مطلقاً، بل قال عوضاً عن ذلك: «هذه التصاميم طموحة جداً، بل هي غير عادية أبداً».

- شكراً لك.

نظر إليها على الفور، وسألها: «أأنتِ من صمم هذه الحلي؟».

هزت روبي رأسها راغبة في القول: حتى آخر واحدة منها! لكنها قالت له وهي تحدق بعينيه: «لهذا السبب أنا موظفة هنا، فأنا أصمم المجوهرات لشركة باستياني العالمية».

- إذاً لا بد أنك أدركت أن كلامي ليس إطراء. فهذه المجموعة لن تنجح، ولن يمكنك بيعها.

لم تصدق روبي ما سمعته، فقالت على الفور: «استميحك عذراً! لم أفهم ما تقوله؟».

- هذه التصاميم... «مجموعة الشغف» أو «عناق المحبين»... إنها تحمل مفهوماً جيداً، لكن ألا تعتقدين أنك طموحة جداً لتفكري في النجاح باستعمالك الحجارة والذهب واللؤلؤ فقط؟ لا يمكنك تغطية حاجات السوق، ولا يمكننا أن نصمم مجموعة كاملة مبنية على فكرة مجنونة. هناك الكثير من المخاطرة في عملك هذا.

جادلته بالقول: «بل سينجح بدون أي شك».

حاولت أن تبعد الشك الذي يغير دائماً على فكرها المبدع وفي كل

حين، من دون ملاحظات زاين المذكية له.

- أجل، إنه عمل طموح وفيه شيء من المخاطرة، لكنه أصبح في مرحلة الانتاج، كما أن معظمه أصبح ناجزاً.

- لكنه لم ينته بعد، كما لم يتم التأكد من نجاحه. وهكذا، فإن شركة باستياني تضع آمالها ومستقبلها على مجموعة قد تنذر بالفشل المطلق.

- كان لورانس متحمساً جداً لهذه المجموعة، وكان موافقاً عليها تماماً.

- لورانس ليس هنا الآن.

- لكنني هنا، وأنا أصمم المجوهرات للشركة منذ أن بدأت العمل هنا، وحتى الآن قمت بذلك بنجاح واضح. ليس هناك من سبب للاعتقاد أن هذه المجموعة لن تنجح.

وضع زاين الرسومات التي كان يحملها على المكتب، واستدار. استند إلى المكتب، واضعاً يديه على جانبي ساقيه.

- من الصعب أن تدعي القيام بأي شيء آخر.

التعامل معه وهو يدير ظهره لها أمر، أما أن يحدق بها وهو يحوم حولها فهذا أمر مختلف تماماً. تمنت روبي لو أنها ارتدت شيئاً آخر غير هذه التنورة البسيطة والقميص ذات اللون الأصفر الباهت من دون كمين. نهضت عن كرسيها متظاهرة بملء كوب من الماء من البراد، ولم تستدر إلا بعد أن تنفست بهدوء لمرات عدة. قالت بعد أن استعادت رباطة جأشها: «حسناً! أنا لا أرغب في أن أخذل لورانس أو الشركة الآن. ما دمنا نتحدث عن الأمر، هل أزعجت نفسك مرة لتقرأ التقارير المالية التي كان يرسلها إليك والدك بشكل مستمر؟ هل استوعبت مرة ما الذي تعنيه تلك التقارير وكيف أن أرباح مؤسسة باستياني تتزايد باستمرار، وبدلاً من بيع اللؤلؤ كمواد خام أو كمواد أساسية للتصميم، بدأنا نبيع مجموعات خاصة بنا مرتين في السنة؟».

لم يزعج زاين نفسه بالإجابة عن سؤالها، بل رد عليها بنبرة حاقدة:

«وأنت تدّعين لنفسك الفضل بذلك، على ما أعتقد».

هزت روبي رأسها قائلة: «لا! لا أدّعي أي فضل لي. وظفني لورانس مصممة مبتدئة عندما انهيت دراستي. قال إنه يريد مصمماً تخرج حديثاً، ليست لديه أفكار قديمة عن العمل أو عما يجب أن تكون عليه المجوهرات المصنوعة من اللؤلؤ. هكذا عملنا معاً على مجموعة ذات فكرة موحدة، وأقمنا معرضاً كاملاً لمجموعة رائعة تضم أجمل وأغلى اللآلئ في العالم. كانت لدى لورانس الرؤية والحلم، فقام بتطوير عمله بطريقة لم تقم بها الشركة من قبل، لكن التصاميم كلها من عملي».

توقفت عن الكلام، إذ شعرت فجأة بألم في رأسها، فطوال فترة حديثها المسهب المليء بالعاطفة، ظل زاين مستنداً إلى المكتب يتأملها بهدوء لكن بنظرات ثاقبة. إن لم تكن راضية عن موقفه، فهي أكثر انزعاجاً من تحديقه الصامت. رشفت رشفة من الكوب محاولة أن تنهي هذا الحوار. فجأة شعرت بالفرح لأنها عملت على ملء كوبها، إذ أحست أن فمها وشفتيها جافة تماماً. ما إن حركت الكوب حتى تساقطت منه بضع قطرات من الماء بسبب التبخر، مرت بين أصابعها. شهقت ما إن سقطت قطرتان من المياه المثلجة على قميصها.

تبعت عينا زاين حركتها. تأثر فعلاً بحديثها بالرغم من عدم ادعائها أهميتها في الشركة، لكنه الآن أصبح أكثر انفعالاً بسبب رؤية قطرتي الماء تنحدران وتستقران على قميصها. رآه، واستمر في النظر إليها بدقة، وكأن هناك دعوة لا يستطيع رفضها تشده إليها أكثر. تمتم، وهو يقطع الخطوات القليلة بينهما: «يبدو أنك امرأة متعددة المواهب».

وقف أمامها تماماً. إنها طويلة بما فيه الكفاية، لكن عليها أن ترفع رأسها إن أرادت النظر إلى عينيه. هذا أمر جيد، إذ يعطيه فرصة دائمة لينظر إلى عنقها الناعم وبشرتها الذهبية.

ابتلعت روبي غصة ما إن مدّ يده بينهما. اتسعت عيناها لتصبحا كعيني غزالة خائفة. وضع زاين أصابعه حول حبة اللؤلؤ في العقد الذي يتدلى

من عنقها. رفعه برقة عن بشرتها الحريرية، شاعراً بدفء الحلية التي كانت ملقاة على جيدها.

- أهذا أيضاً أحد تصاميمك؟

عندما رفع يده فكرت، آه... يا إلهي! لم تعد روبي تستطيع التنفس أو الحركة. عاودها شعور بالخوف لم تشعر به منذ زمن بعيد، مهدداً بالقضاء عليها، وعلمت أنها في خطر. هذا الرجل خطر عليها بلا شك. إنه قريب جداً منها، وقوي جداً. شعرت بنظرة عينيه تهددها، كما شعرت بلمسة يده. إن كانت نظرته بتلك القوة، فما بالك لو مد يديه وضمها إليه؟

بدلاً من ذلك أمسك زاين بالعقد، فبدا أثر أصابعه على عنقها مروعاً بما فيه الكفاية. ارتجفت روبي لمجرد لمسته، وأدركت بسرعة من خلال الحاسة السادسة أن هذا الخطر لا يشبه أي شيء عرفته من قبل. قال زاين بنبرة هامسة حميمة أشعلت حواسها وهو ينظر إلى العقد: «إنها حلية جميلة تماماً كمن ترتديها».

رفع نظره إلى عينيها وتابع: «هل أنت من صممها؟».

أخذت روبي نفساً سريعاً كي لا تختنق. لن تسمح لنفسها بإظهار ما تشعر به من خوف، مع أن نظرة عينيه الدافئتين تجعلها تنسى كل شيء آخر. عليها أن تركز على العقد وعلى سؤاله. لن يكون الأمر بهذه الصعوبة، وهي تتحدث عن أفضل حلية صممتها. لؤلؤة وضعت على طوق من النتريت، وأحيطت بحبل مجدول من الذهب. أما اللؤلؤة فهي بطول ثمانية عشر مليمتراً وهي رائعة الجمال والاستدارة. قدم لورانس لها العقد كهدية لنجاح مجموعتهما الأولى، وبدا لها من المناسب جداً أن تضعه اليوم. اعترفت أخيراً: «بالطبع!».

مدت روبي يدها بلا قصد منها إلى عنقها، فأجبرت على ملامسة يده التي ما زالت تمسك بالحلية. للحظة تلامست أصابعهما. رأت شيئاً ما يلتمع في عينيه كشرارة من نار، وعلى الفور شعرت بالاحساس نفسه في أعماقها.

تمتم زاين من دون أن يبعد يده: «إنها لؤلؤة مميزة».

لم يكن لديها الوقت لتفكر لماذا يفعل ذلك، ليس وهو قريب منها. أما الضغط الخفيف الذي كان يضعه على الحلية فجعلها تقترب منه أكثر. حاولت روبي أن تتكلم، لكن حواسها بدت مغمورة بحضوره.

همست: «شكراً لك. لورانس قدمه لي».

رمش زاين بعينيه وأفلت العقد من يده وابتعد، ليقف مستقيماً من جديد.

- لا شك أنك قمت بمجهود لاستحقاقه.

تبدل الجو تماماً بينهما، مع أن أفكارها ما زالت مضطربة وقلقة. لكن عندما لمست أصابعها الحلية أطبقت عليها كأنها تعويذة غالية جداً، وتمنت أن تستمد منها القوة الكافية.

استجمعت روبي أفكارها، وأجابت بلا اكتراث: «آه، بالطبع! أحب فعلاً أن أفكر كذلك».

التمعت عيناه اللتان بدتا منذ لحظات مليئتين بالشغف، فأصبحتا الآن مليئتين بالغضب والاشمئزاز معاً. سألها بنبرة آمرة: «قولي لي إن ما أقوله غير صحيح. قولي لي إنك لم تكوني عشيقة والدي».

حدقت روبي به، وسمحت لنفسها أن تبتسم لما سمعته. إذاً هو لا يشعر بالاشمئزاز منها. إنه يشعر بالاشمئزاز من نفسه، لأنه يشعر بالانجذاب إلى امرأة كانت تخص والده. ربما هدية لورانس ستحميها في النهاية. ما دام زاين ينظر إليها كعشيقة لسيد اللؤلؤ، فستبقى بأمان معه، والأمر الأكثر أهمية، أنها ستبقى بأمان من عاطفتها.

- ليس عليّ أن أخبرك بأي شيء، فهذا أمر لا يعنيك مطلقاً.

تحركت لتمر أمامه وتعود إلى مكتبها، لكن يديه أمسكتا بكتفيها. جذبها نحوه، لتصبح قريبة منه من جديد.

- أكنت كذلك؟

نظرت روبي إلى يديه، وعلقت: «يفاجئني أنك قادر على لمسي».

ثم ركزت نظرها على عينيه بقوة، كأنهما ابرتين حادتين. رفعت حاجبها متسائلة: «أم أنك راغب بقوة أن ترث كل موجودات والدك».

لم تنتظر إجابته. أبعدت يديه عنها، وسارت نحو المكتب. جمعت رسوماتها والملف أمامها.

- اعذرني! أحب أن أبقى وأتحدث إليك، لكن لدي عملاً علي القيام به. بعدئذٍ سأعود إلى المنزل، لأجمع كل ما لدي هناك.

- لماذا؟ إلى أين ستذهبين؟

- لا أعلم.

اعترفت ما إن أصبحت في وسط الغرفة قبل أن تغادر: «لكن سيكون العمل معك سيئاً بما فيه الكفاية حتى نهاية عرض المجموعة في الأسواق، ولا مجال مطلقاً لأستوعب فكرة العيش معك في منزل واحد».

قال زاين من وراء ظهرها: «ماذا تقصدين بقولك حتى نهاية عرض المجموعة في الأسواق؟».

تنهدت روبي ببطء، ثم استدارت. اعتذرت بصمت من لورانس لقيامها بذلك.

- إنني أقدم استقالتي، زاين. سأبقى فقط حتى نهاية عرض المجموعة الجديدة، لكن بعد ذلك ليس هناك من داع لتتعامل معي من جديد، فأنا سأغادر بروومي إلى الأبد.

٤ - اعتراف كاذب

من الواضح أن لدى لورانس افكاراً أخرى، فبعد مرور بضعة أيام جلس كل من روبي وزاين مصعوقين في مكتب لورانس السابق، بينما قام محاميه بشرح شروط وصيته. قالت روبي بحيرة: «أنا لا أفهم».

ليس الأمر أنها لم تسمع جيداً ما قاله المحامي في المرة الأولى، بل إنها لم تجد أي تفسير منطقي لما سمعته. تنهد ديريك فينلاسون قبل أن يبتسم معتذراً: «أدرك أن من الصعب استيعاب ذلك دفعة واحدة، لكن الأمر الأهم هو أنك وزاين سترثان أسهماً متساوية تشكل تسعين بالمئة من مؤسسة باستياني لتجارة اللؤلؤ، وهذا يعني أن كلاً منكما سيسيطر على نسبة قدرها خمسة وأربعون بالمئة من أسهم الشركة».

- لكن...!

نظرت روبي حولها طلباً للمساعدة، لكن زاين لم يقدم لها أي مساعدة تذكر، بل جلس وقد ظهر عليه التوتر، فيما تغلف وجهه بقناع من الصمت والضيق.

- لكنني لا أريد أي شيء من ذلك.

أدار زاين رأسه على الفور، وبدا عدم التصديق على ملامحه كما لو أنه يتهمها.

هزت روبي رأسها. لم تستطع أن تجد أي تفسير منطقي لما يجري أمامها. خلال الأسبوع الماضي نقلت ممتلكاتها من منزل عائلة باستياني إلى كوخ في منتجع كايبل بيتش. إنه منتجع من فئة الخمسة نجوم، لكن هذا ليس سبب اختيارها له، بل لأنه أبعد ما يمكن أن تتخيل عن زاين.

تصورت روبي أنها ستعيش هناك لفترة قصيرة فقط، إذ إنها بدأت تجري لقاءات ومقابلات مع شركات لصنع المجوهرات في سيدني. في السنوات القليلة الماضية، تمكنت روبي من اكتساب شهرة واسعة من خلال عملها في مؤسسة باستياني، وعرض المجموعة الجديدة «مجموعة الشغف» سيتوج شهرتها تلك. إن سارت الأمور على ما يرام، ستغادر برووومي في غضون أشهر قليلة. لكن إن بقيت...

لا تستطيع أن تسمح لنفسها بالتفكير بذلك. عملت بكل ما لديها من قوة للابتعاد عن زاين وعن الجو السام المحيط به، آملة أن تتخلص من ذلك كله في غضون ثلاثة أشهر. إنها لا تستطيع تحمل مجرد التفكير بأن عليها البقاء بقربه أكثر من ذلك. قالت بإصرار وحلقها يعتصر من شدة الألم: «أنا لا أريد شيئاً، ولا أستطيع أن أفهم لماذا فعل لورانس ذلك. في الواقع، بدأت بالعمل فعلاً على مغادرة برووومي نهائياً. لدي عروض عمل، وأنا لن أبقى في المدينة».

نزع المحامي نظارتيه. بدا كأنه يريد أن يقول شيئاً ما، قبل أن يتوقف فجأة، كأنه يحاول التفكير بالأمر أكثر. بدلاً من ذلك، تنهد بصوت مسموع وأعاد نظارتيه إلى عينيه، ثم حدق بقوة من خلالها بعد إنزالها حتى أرنبة أنفه. بدأ المحامي كلامه ببطء شديد ليجعله أكثر تأثيراً عليها: «نظراً لبنود الوصية، من الواضح أن لورانس توقع أن تبقي هنا في برووومي لتشاركي في إدارة الشركة مع زاين، أما الأسهم العشرة المتبقية فهي مقسمة بالتساوي بين الموظفين هنا وبين عمال المنزل تبعاً لسنوات خدمتهم، وهم بحاجة إلى إدارة العمل بشكل يؤمن الربح لهم بالطبع».

قاطعه زاين: « دعها ترحل، فهي لا تريد البقاء. سأشتري حصتها».

رمش ديريك فينلاسون بعينيه، ووجه نظرته الثاقبة نحو زاين قبل أن يتابع: «أتفهم خيبة أملك سيد باستياني، لكن ما يهمني الآن بالتحديد هو تحقيق رغبات والدك. لورانس - كما هو واضح- يرغب في أن تتولى إدارة الشركة أنت والآنسة كلمنجر من أجل مصلحة كل أصحاب

الأسهم. لكن، في النهاية، الآنسة كلمنجر هي من عملت بجانب لورانس في السنوات القليلة الماضية، والآن هي الوحيدة المعتادة على إدارة العمل فعلياً. إنه لأمر حاسم أن تبقى، ولا شك أنك ترى ذلك».

- أنا لم أكن جالساً على يديّ طيلة حياتي سيدي، فلدي عمل خاص بي، وعلي الاهتمام به في لندن.

- احتاط والدك لهذا الأمر أيضاً.

قال المحامي ذلك وهو يقلب أوراقه ثم تابع بهدوء: «آه! أجل... ها هي هنا. سيكون لديك ما يكفي من الوقت لتعود إلى لندن، وتنهي ما لديك من أعمال هناك. يمكنني أن أطلعك على التفاصيل في وقت لاحق».

أكمل قائلاً: «والآن، آنسة كلمنجر... من الواضح أن لورانس علم ما هو شعورك تجاه الشركة وحقوق الموظفين، وقد وضع ثقته بك كي تدافعي عن تلك الحقوق وتستمري بتحقيق رؤيته في العمل، كما أنك ستعملين على إبقاء شركة باستياني في المقدمة في مجال تصميم اللؤلؤ وابتكار طرق جديدة لازدهاره. وثق لورانس بأنك ستهتمين بنجاح الشركة، ليس فقط لأجل مصلحتك، بل من أجلهم أيضاً. هل هناك أي شيء آخر يمكنني أن أقوله ليساعد على إقناعك؟».

- لكن، إن كانت لا تريد البقاء...

قاطعته روبي على الفور: «لا!».

بعدئذٍ أدارت رأسها، فالتقت عيناها الزرقاوان بتحد وغضب بعينيه البنيتين القاسيتين.

- السيد فينلاسون على حق. لورانس أراد ذلك. أرادني أن أبقى هنا، وأنا لن أتخلى عن مسؤوليتي بالنسبة إلى العمل وللموظفين. ليس هناك من مجال لأخذل لورانس مطلقاً.

ظهرت ابتسامة غير مألوفة على وجه ديريك فينلاسون وهو يضرب الطاولة بقبضته، قبل أن يقول: «هذا هو المطلوب. لا بد أن لورانس كان

ليفتخر بك، عزيزتي. أما بالنسبة لك زاين، كم من الوقت ستحتاج لتصفية أعمالك؟ هذا إذا كنت...».

توقف عن الكلام وهو ينظر إليه بعينين لاذعتين، ثم رفع حاجبيه وأكمل: «... هذا إذا كنت ترغب بالعودة إلى بروومي لتدير العمل بنفسك؟».

- آه! بالطبع سأعود.

نظر زاين إلى روبي وعيناه المليئتان بالعداوة تحرقان الهواء بينهما وهو يتابع: «ولا داعي للتفكير بعكس ذلك».

* * *

- كيف تمكنت من تدبير ذلك؟

غادر المحامي، وأصبحت الغرفة خالية من كل شخص ما عدا زاين وروبي. بدا الجو ملبداً ومليئاً بالتوتر، وكأنه عاصف من كلامه الغاضب. أما هي فشعرت كأنها في قلب زوبعة. بالكاد سمعت سؤاله بسبب الأفكار المقلقة التي تدافعت إلى ذهنها. ها قد وقعت في الفخ بعد أن أصبحت على وشك الرحيل نهائياً. اعتقدت أنها ستغدو حرة بعد أسبوع لا غير، أما الآن فقد أصبحت محتجزة في شركة باستياني. هل كان لورانس يعلم تماماً ما الذي يفعله بها؟ توسل إليها قائلاً: «اعتني بزاين».

أرادت أن تضحك بصوت عالٍ، فزاين لا يحتاج إلى أي شخص لكي يعتني به. حسناً! هي ستهتم بالشركة، لا مشكلة لديها مطلقاً في ذلك، أما بالنسبة إلى زاين، فهو قادر على الاهتمام بنفسه.

- ما هذا الانقلاب غير المعقول؟

- ماذا تقصد بكلامك؟

أجابت من دون أن تفكر ملياً بكلامه. بعد أن تمكنت من سماعه، أصبحت أكثر فضولاً الآن لمعرفة كيف يرى الأمور بطريقة مختلفة تماماً عنها. لماذا بحق السماء يعتقد أن هذا ما أرادته؟ فجأة أصبحت الآن

تملك ثروة كبيرة جداً، بالاضافة إلى ما أمنته لها عائلتها من علاقات، لكن ذلك لا يعوض عن خوفها المتزايد. لم يقدم لها لورانس أي خدمة بعمله هذا، فهذا ليس بميراث نافع ومفيد لها.

- أنت لست من العائلة... بالكاد أنت موظفة. كيف تمكنت من إقناع والدي بترك خمسة وأربعين بالمئة من أسهم الشركة لك؟

أبعدت روبي نظرها عن رف الكتب الذي كانت تحدق به، ونظرت إليه. حاولت جاهدة أن تتخلص من ارتباكها.

- لم أفعل شيئاً لاقناعه، ولم تكن لدي أية فكرة أن والدك قرر أن يضع وصيته بهذه الطريقة. كيف لي أن أعلم؟

زفر زاين كأنه لم يصدق كلمة واحدة مما سمعه: «ألا فكرة لديك؟ كنت تعيشين معه، وتدّعين أنك لم تعرفي بالأمر؟ لا شك أنك تدركين أن من الصعب تصديق ذلك».

هزت روبي رأسها، وعلقت: «بالطبع لم أكن أعلم. قلت لك إنني سأستقيل، وأنت تعلم أنني أردت أن أرحل. لماذا علي القيام بكل تلك الخطط لمستقبلي لو كنت أعرف أي شيء عن وصية لورانس؟».

- لا تتظاهري بالبراءة. لم تكن لديك أية نية بالرحيل، أما قولك إنك ستبقين هنا حتى نهاية إصدار المجموعة الأولى فليس إلا غطاء آمناً لك.

تنهدت روبي، ورفعت يديها الاثنين باتجاه السقف. ما الجدوى من محاولة اقناعه؟ ما همها بما يفكر؟ قالت محاولة توضيح الأمر له: «لا يهمني ما الذي تفكر فيه. الحقيقة هي أن لورانس لم يعطني أي خيار، وليس أمامي إلا البقاء والعمل وفقاً لوصيته».

ضحك زاين بقسوة ومرارة، متمسكاً باعترافها.

- مضحك جداً كيف أن بضعة مئات من ملايين الدولارات تجعلك تغيرين موقفك.

أكمل ساخراً وعدم تصديقه لأية كلمة قالتها يظهر بوضوح في نبرته: «بالطبع، كلنا نعلم أن لا علاقة للمال بقرارك هذا».

- أنا لا أهتم للمال، لكن الأمر لا يتعلق بي. إن غادرت، ما الذي

سيحدث للموظفين؟ أنت ستغادر، ومن يعلم كم ستطول فترة غيابك؟ عندها من سيتولى إدارة الشركة؟ ومن الذي سيحقق حلم ورؤية لورانس للعمل؟ لا يمكنني أن أتخلى عن الأشخاص الذين عملت معهم، والذين أراد لورانس أن نهتم لأمرهم. لا أستطيع أن أفعل ذلك مع أشخاص مثل كيوتو، بعد كل تلك السنوات من العمل في شركة باستياني.

- أستبقين في الشركة من أجل الموظفين؟ يا لهذه الشهامة والكرم من قبلك!

اقترب زاين منها، وتابع: «اعذريني إن لم أصدق أن ليس هناك أي اهتمام بمصلحتك الشخصية».

أجابت روبي بنبرة مستهجنة: «لا داعي للاعتذار، فأنا لا أتوقع منك أن تصدق أي شيء، فكيف تراك ستصدق الحقيقة؟ برهنت لي أنك لا تملك هذه الميزة في شخصيتك منذ أن رجعت إلى برووميّ».

- وأنت أظهرت قدرة فائقة بعدم اعترافك بالحقيقة! لماذا تتظاهرين بصفات لا تملكينها؟ لماذا تتظاهرين أنك لا تفهمين ما هو واضح لأي شخص غيرك؟

وضعت يديها على وركيها. تباً لهذا الرجل، ولإهاناته الدائمة وتلميحاته القذرة!

- ما هو الأمر الواضح لأي شخص آخر، زاين؟ ماذا تقصد بالتحديد؟ ربما من الأفضل أن تخرج تلك الكلمات من صدرك.

- أتريدين أن أتفوه بها؟ حسناً! لماذا بحق السماء سيترك لك والدي حصة كبيرة في الشركة؟ خمسة وأربعون في المئة! أنت اعترفت بنفسك أن والدي كان شخصاً مميزاً بالنسبة لك. لماذا يترك لك ثروة لو لم تكوني أكثر من مميزة بالنسبة له؟

اندفع الدم بقوة في عروقها كأنه يدفعها للشجار والمقاومة.

- أتقول إن والدك قدم لي ثروة لأنني كنت أعيش معه... كعشيقة له؟

- قلت الكلمة كما هي بالتحديد.

- أليس في ذهنك سوى هذا النوع من العلاقات؟

- أليس ذلك صحيحاً؟

أرادت روبي أن تنفي ما قاله، لكنها فكرت قليلاً، أليس هذا ما تريده أن يفكر به بالتحديد؟ إن كرهها زاين لأنها كانت عشيقة والده، فلن يرغب في التودد إليها، وإن لم يفعل، فهي ستتمكن من مقاومة هذا الانجذاب الغريب نحوه، وهكذا ستحظى بفرصة ألا تقع ضحية سطوته. وهكذا، بدلاً من الاستسلام لتحريض دقات قلبها المضطرب بالرد عليه بالنفي لكل ما يقوله، باشرت بالقيام بأمر مختلف كلياً. رفعت حاجبها باستفزاز، ورسمت ابتسامة مثيرة على وجهها ورفعت صدرها بكبرياء. إنه معجب بها، لقد أظهر ذلك بوضوح. ولتتأكد من ذلك، راقبت كيف لاحقت عيناه حركات جسدها بعينين جائعتين، فاتسعت ابتسامتها. علمت أنها انتصرت عليه، لكن ليس هذا أكثر مما يستحق. فقد كوّن رأيه عنها، وهذا يناسب أهدافها. لِمَ لا تجاري حكمه المجحف؟ لِمَ لا تتلاعب به كما يستحق؟

قالت متعمدة أن يبدو صوتها مثيراً: «حسناً! لا شك أنك فهمتني جيداً، زاين. أنت تعلم بدون أي شك أنني كنت مميزة لديه. من الواضح أن علاقتنا كانت تعني له أكثر مما توقعت. لم أتوقع مطلقاً أن يكون بمثل هذا الكرم معي في المقابل».

تبدل لون بشرته الوردي إلى لون أحمر قانٍ، وبدأ أحد الأوتار ينبض في خده بقوة ووضوح.

قالت روبي بتفهم ساخر، وهي تمرر إصبعاً على خدها بإغراء تنفيذاً لخطتها: «أتعلم؟ أدرك ما هي مشكلتك. أنا كنت مميزة لديه أكثر من ابنه الحقيقي، وهذا ما يزعجك. أليس كذلك؟ أنت لا تستطيع تحمل فكرة أنه أحبني ولم يحبك أنت. لهذا السبب أنت تكرهني كثيراً. أليس كذلك؟».

اقترب منها زاين خطوة أخرى، وحركاته تظهر غضباً صارخاً، فيما بدت ملامحه مظللة بالانتقام. شعرت روبي بقلبها يتوقف عن الخفقان للحظة. الغضب المحفور على وجهه أعلمها أنها لم تبدِ فقط ملاحظة عابرة، بل تمادت أكثر من اللازم. تراجعت خطوة إلى الوراء ما إن اقترب منها، وتمتمت: «زاين، لم أقصد...».

لاحظت كيف تحركت جبهته بتوتر، واتسعت عيناه من شدة الاضطراب، فنسيت كل ما كانت ستقوله.

قال زاين بنبرة ناعمة، تناقض تماماً ما يبدو عليه: «بالطبع أحبك أكثر مما أحبني. كيف لا يفعل ذلك؟».

مد يده فلاحظت روبي مدى توتر عضلاته وانكماش بشرته. أجفلت عندما لامس بيده شعرها، وأمسكه بنعومة، ثم لف خصلة منه على إصبعه، بينما راحت عيناه تجولان على وجهها ثم تنحدران نزولاً إلى كتفيها وعنقها، وبعد ذلك إلى قوامها كله.

همست: «لا! لم أقصد ذلك. آسفة».

شعرت بقوة الخطر الذي يتضاعف ويتجه نحوها بأساليب جديدة. خطر جعل جسدها يتجاوب باهتمام بدلاً من أن يتقلص بخوف. أسكتها زاين بوضع إصبع يده على فمها، مانعاً إياها من الكلام ومن التنفس في الوقت نفسه. شعرت روبي بعطره يحيط بها ويغمرها، كما شعرت بتأثير لمسته الرقيقة، مع العلم أنه غاضب جداً. إنها لا تريده أن يكون رقيقاً ولطيفاً. من الأفضل أن يبقى دائماً غاضباً. فالغضب أكثر أماناً لها. بإمكانها التعامل مع غضبه، لكن هذه الرقة المفاجئة...

اعترف زاين أخيراً: «أنت على حق».

أنزل يده عن فمها، وأحاط بها عنقها. شعرت روبي كأنما مسها تيار كهربائي، ما جعلها تشهق بقوة.

- من الواضح أنك قدمت له ما لا أستطيع تقديمه أبداً. لكن عليّ أن أسأل نفسي سؤالاً واحداً. مقابل خمسة وأربعين بالمئة من أسهم

الشركة، أي ما يوازي مئتي مليون دولار...

تردد بالمتابعة فيما وجهه لا يبعد كثيراً عن وجهها. استمرت نظرته بقراءة عينيها وشفتيها بوقاحة وكأنها نار تحرق جسدها، بينما لمسته الرقيقة على شعرها تبقيها قريبة جداً منه. مال برأسه قليلاً وكور شفتيه بابتسامة مليئة بالازدراء فيما تابع يقول: «حسناً! لا بد أن السؤال يطرح نفسه: كم أنت ماهرة في السرير؟».

* * *

٥ - عناق الوداع

تلهفت يدها إلى صفعه، كما تتلهف يد مبارز إلى إطلاق النار. وهي تعلم كم ستشعر بالرضى إذا حطمت هذا القناع من التفاخر والكبرياء. لكنها مؤخراً تركت عاطفتها تقود أفعالها مع هذا الرجل، فراحت تندفع بالهجوم عليه بالكلام حيناً وبالفعل حيناً آخر، لتندم بعد ذلك على الفور بسبب فقدانها السيطرة على نفسها. لن تسمح لنفسها بالاستسلام لتلك الغريزة من جديد.

بدلاً من صفعه، ضغطت روبي بقوة على أصابعها وراء ظهرها، وأجبرت نفسها على الضحك بالرغم من أن أظافرها راحت تحفر بقوة في لحم راحتها. قالت وهي تبعد رأسها، لتتمكن من إبعاد شعرها عن متناول يده: «لن أفكر بالأمر للحظة واحدة، لأن ذلك ما لن تعرفه مطلقاً».

شعرت بالنصر يتراقص في عروقها وهي تستدير نحو الباب. نجحت في القيام بذلك! بقيت هادئة، ووضعته تماماً وعن قصد في موضعه. راقبها زاين تسير مبتعدة، وقد رفعت ذقنها عالياً، وكأنها ربحت معركة رئيسية، مع أن حركاتها ما زالت تبدو مرتبكة، منذ لحظات بدت دافئة وناعمة جداً ومليئة بالحيوية، فقد شعر بتناسق وكمال جسدها تحت يده. كما أحس بقوة أنوثتها. إنها فاتنة وهي غاضبة، وعندما تكون ضعيفة ورقيقة تهدم كل حدود الحذر والدراية. لا عجب أن والده سقط بقوة صريع غرامها.

سيطر زاين بقوة على نفسه كي لا يزفر، فهو لا يريد التفكير أنها كانت

www.elromancia.com

مع والده. أليست خسارة أن ترمي بنفسها على شخص مثله؟ لكن، إن اعتقدت أنها ستكون صاحبة الكلمة الأخيرة، فهي مخطئة تماماً! قال يذكرها: «أبي كان دائماً مولعاً بالنجاح. أتمنى بكل صدق أن يكون قد حصل على مقابل للملايين التي قدمها لك».

لمعت عيناها بالغضب وسط وجهها المتقد كالنار بسبب الانزعاج. استدارت بسرعة لمواجهته وهي تصرخ به: «كيف تجرؤ! يمكنك أن تقول أو تفكر بما تشاء بالنسبة لي، فأنا لا أهتم! لكنني لن أقف مكتوفة اليدين وأنا أسمعك تسيء إلي ذكرى والدك. أي نوع من الأبناء أنت لكي تقول كلاماً مهيناً بحق لورانس؟ كان والدك رجلاً نزيهاً بكل ما في الكلمة من معنى، وهذا أمر لا يمكن أن تفهم أي معنى أو قيمة له».

رفع زاين حاجبيه بالرغم من إرادته. أما زالت تملك القدرة على الشجار؟ عليه أن يعترف أنها لن تستسلم بسهولة.

قال مؤكداً لها وهو يتكئ بكسل على المكتب: «ثقي بي، أعرف عن والدي أكثر مما تظنين».

ضحكت روبي بسخرية وعلقت: «أفضل أن أضع ثقتي بأي كاذب عابر».

قال بنبرة منطقية محاولاً استرضاءها: «هيا، روبي! أنت تعلمين أنك لست بحاجة لتدافعي عن والدي الآن، لذا توقفي عن التمثيل. حصلت على جائزتك، فلِمَ لا تهدأين؟».

- ماذا؟ أتعتقد فعلاً أن وصية لورانس هي جائزة لي؟ إن حكماً قضائياً بالسجن هو أكثر رحمة بالنسبة لي من الوضع الراهن... أعني العمل إلى جانبك.

ابتعد زاين عن المكتب، واتجه نحوها قائلاً: «للمرة الأولى أوافقك الرأي».

ضاقت نظرة عينيها وهو يسير نحوها، كأنها تفاجأت بموافقته السريعة.

- من الواضح أن لا أحد منا يريد أن تكون له أي علاقة بالآخر. لذا أجد أنني أملك الحل الأمثل.

ابتسم قبل أن يتابع: «سأشتري حصتك. سأشتري كل أسهم حصتك في الشركة نقداً، وهكذا تتمكنين من مغادرة برووميي على متن أول طائرة مغادرة، حيث يمكنك الاستفادة من الفرص المعروضة عليك في أي مكان آخر... مع أنك لن تكوني بحاجة لأي عمل بعد اليوم مع ما ستملكينه من مال بعد رحيلك».

آه! لا شك أن هذا العرض استدعى أكثر من فكرة لديها، يمكنه أن يعرف ذلك من حركة رأسها، ومن البريق الساطع في عينيها. هل تفكر بالمبلغ الذي ستطلبه؟ إنه لا يشك بذلك.

- قال المحامي...

قاطعها وهو يحرك يده تأكيداً لما يقوله: «مهما كان ما قاله المحامي، فلا أهمية لكلامه الآن. أصبح الأمر بيني وبينك، فنحن أصحاب الأسهم، وما نقرره سيحدث».

- ماذا عن المعرض المقبل؟

- إنه تقريباً على وشك البدء. بالطبع، ستحصلين على شهرة واسعة في تصميم المجوهرات بفضله. بعد ذلك ستصبحين حرة للقيام بكل ما تريدينه، وهذه المرة، لن تضطري إلى الذهاب بحثاً عن اللؤلؤ، إذ سيصبح العالم كله رهن إشارتك.

ترددت روبي، وعلم زاين أنه كاد يقنعها، تماماً كما ظن أنه سيفعل. لأنه يعرف جيداً هذا النوع من النساء. تابع محاولاً الضغط عليها بنعومة: «لديك الفرصة لتبدأي من جديد، مع هذا المبلغ الضخم من المال».

فجأة هزت روبي رأسها بصورة غير متوقعة، وقالت بإصرار: «لا! لا مجال لأفعل ذلك. لورانس أرادني أن أبقى وأساعد في إدارة الشركة، لا أن آخذ المال وأهرب. كان يعلم أن العمل هنا بحاجة دائمة إلى نوع من الاستمرار والعطاء».

www.elromancia.com

رفع زاين يديه في الهواء، وهو يشعر بالاحباط تماماً لتبدلها المفاجئ واستخفافها بمهارته في تولي إدارة الشركة. صحيح أنه ابتعد عن العمل لسنوات عدة، لكن من هي بحق السماء، لتشك بقدراته؟

- نشأت وكبرت في هذه الشركة، كما أنني أقود أكبر أعمال تجارة الأسهم في أهم مصارف لندن، فهل تعتقدين أنني غير قادر على تولي مهام العمل هنا بعد والدي؟

حدقت روبي به ملياً وببرودة واضحة بعد انفجاره الغاضب، وقالت: «من الواضح أن والدك كان يشك بذلك».

أطبق زاين فمه بقوة بعد أن زفر بصوت مرتفع. آه! بالنسبة إلى امرأة تبدو كآلهة للجمال، فإن كلماتها تخرج من فمها كالأسيد الحارق. إن كانت تحاول أن ترفع سعر الأسهم، فإنها بدون أي شك تقوم بعمل ماهر. كرر قائلاً والكلمات تخرج من بين أسنانه: «سأشتري كل ما لديك في الشركة، سأشتري أسهمك بنسبة تفوق العشرين بالمئة، وهكذا ستغادرين وأنت تملكين ثروة. لا يمكن أن تحصلي على عرض أفضل في أي مكان آخر».

اتسعت عيناها، وأجابت: «هل ستدفع لي هذا المبلغ الضخم حقاً؟».

وأكثر، إذا كان هذا سيدفعها إلى الرحيل: «إذاً، هل ستقبلين عرضي؟».

هزت روبي رأسها، وشعر زاين بآماله تغوص من جديد.

- احتفظ بمالك الغالي، زاين. أنا لست أبحث عن عرض أفضل، لأنك أكدت لي الآن ما شككت فيه منذ البداية. لا يمكنني أن أبيع أسهمي وأتركك تتولى إدارة الشركة بشكل كامل. أتعتقد حقاً أنني سأتخلى عن حصة الموظفين، وأترك أسهمهم العشر تحت رحمتك؟ أية فرصة لديهم معك؟ لا بد أنك ستفعل كل ما تستطيع القيام به لكي تسحقهم تماماً كما حاولت أن تفعل معي.

- سأهتم بهم. لا تقلقي!

- لا أعتقد ذلك. إن كانت مهارتك في إدارة الأعمال تشبه طريقة تعاملك مع الناس، فستكون الشركة في خطر عظيم. لا مجال لأتركك تتولى إدارة الشركة بمفردك.

عض زاين على كبريائه، وسألها السؤال الوحيد الذي اعتقد أنه لن يسمع نفسه يسأله: «إذاً... كم تريدين؟».

إنه انتصار بالغ! حتى هي يمكنها أن ترى ذلك. هو لا يزال ينظر إليها كواحدة من أولئك النساء اللواتي يبحثن عن الذهب، ويظن أنها حاولت أن تسلب والده كل ما قدرت عليه، ترددت روبي، وللحظات قليلة بدت لها إمكانية الرحيل أمراً في منتهى الروعة، أما فكرة الهروب من هذا الخطر المحدق بها وعدم رؤية زاين مرة ثانية، فبدتا كأغنية ملائكية يتردد صداها في عقلها. لاسيما أن الخيار الآخر، البقاء في برووميّ، هو آخر أمر تريده. إنها لا تريد العمل بجانب زاين، فهذا المستقبل مخيف ومليء بالخطر وبالمشاكل والتعقيدات الدائمة، لكنها تفضل الموت على السماح له بأن يدفعها للرحيل.

قالت له: «أنت لم تفهم ما قلته. أنا لا أريد مالك. لا يمكنك شراء حصتي وإبعادي عن الشركة».

- لكل شخص ثمنه.

رفعت روبي نظرها إليه، وابتسمت قائلة: «إذاً ربما عليك مواجهة واقع أنك لا تستطيع تحمل ثمني!».

قال محذراً: «لن تبقي. لن تتحملي البقاء عشر دقائق كاملة بعد عودتي من لندن، هذا إذا بقيت هنا حتى ذلك الوقت. عندها ستتوسلين كي أشتري حصتك لتغادري... لتأخذي المال وتهربي».

كورت روبي شفتيها قبل أن تجيبه: «ما من سبيل لأبيعك حصتي. أفضل الموت على أن أتركك تتحمل مسؤولية هذه الشركة».

* * *

تباً لهذا الطقس! تراجع زاين إلى الوراء على كرسيه الجلدي الفاخر، وعقد ذراعيه فوق رأسه. مدد كتفيه وعضلاته المتعبة من الجلوس لأيام وليالٍ طويلة على مكتبه، وهو يعيد تنظيم إدارة أعماله. خارج مكتبه ينهمر البرد، ويتحطم على النوافذ، تاركاً الثلج على الزجاج، وقد حجب منظر المدينة الرائع ضباب رمادي كثيف. يفترض أنه فصل الربيع، لكن في الأيام القليلة الأخيرة سقط من المطر ما يكفي لعمر كامل. لأول مرة في حياته شعر زاين أنه لا يستطيع الانتظار حتى يعود إلى برووميِ، فهو الآن بحاجة إلى الدفء وأشعة الشمس الساطعة. إنه بحاجة إلى الألوان المتنوعة، التي لا يجدها إلا في برووميِ فقط، كما أنه بحاجة ليرى امرأة واحدة بالتحديد...

نهض على الفور عن كرسيه، وضرب بقبضتيه سطح المكتب. تباً لروبي كلمنجر!

منذ اللحظة التي وصل فيها إلى لندن، بدلاً من التركيز على كيفية إدارة أعماله هناك، لم يتوقف ذهنه عن تخيل روبي والتفكير فيها، ما جعله مشتتاً ضائعاً. لا عجب أنه احتاج إلى مدة أطول لتنظيم عمله، تفوق كثيراً ما توقعه. بدا له من المستحيل أن يركز على شؤون العمل، فيما أفكاره منشغلة بتلك المرأة، فخيالها لا يفارقه طيلة النهار، أما حضورها في أحلامه فيعذبه أثناء الليل، والشوق إليها يلتهم أحشاءه، وكأن هناك ما يتآكله. لطالما حلم أنها مستلقية على سريره، وشعرها منتشر على وسادته، وعيناها تشعان باللهفة إليه. لطالما حلم أنهما متعانقان، ويعيشان أجمل لحظات حياتهما. لكن هذا الشوق هو الأسوأ.

لا بد أنه فقد صوابه! كيف يسمح لعشيقة والده أن تحرك مثل هذه الأفكار في رأسه؟ إنها جميلة بالطبع، وهو قد يشعر بفرح لا يوصف لو ضمها بين ذراعيه، لكنها ليست له... ولن تكون أبداً.

دمدم زاين متذمراً وهو يغلق جهاز الكومبيوتر أمامه. مضى وقت

طويل على تواجد امرأة في حياته. قام بإجراء عدة اتصالات هاتفية سريعة قبل أن يرتدي معطفه ويتوجه نحو المصعد. عمله هنا انتهى تقريباً، فمساعده سيتمكن من تولي أية مسألة متبقية.

إنه بحاجة إلى العودة إلى برووميِ، ولا علاقة مطلقاً للأحلام أو للخيالات بذلك. في الواقع، هو بحاجة للذهاب إلى هناك لتولي مهام العمل. كلما أسرع في العودة إلى برووميِ، كلما سهل عليه إصلاح الفوضى والأخطاء الجسيمة التي اقترفتها روبي أثناء غيابه.

* * *

مرت ثلاثة أسابيع حتى اليوم! تنهدت روبي وهي تحاول السيطرة على ارتجاف عمودها الفقري، وأجبرت عينيها على النظر إلى روزنامة المكتب. من الطبيعي أن تبدو قلقة. لم يبقَ سوى شهران قبل عرض مجموعة الشغف، وما زال هناك الكثير من الأعمال التي يفترض بها إنجازها. بالطبع! ليس لتوترها أي علاقة بعودة زاين الوشيكة.

أبعدت عينيها عن قطعة المجوهرات التي راحت تحدق بها للمرة الأخيرة لتنظر مجدداً إلى الروزنامة. من تراها تحاول أن تخدع؟ مر واحد وعشرون يوماً على رحيله، وهي في كل يوم تنظر إلى الروزنامة وتتساءل، متى سيعود؟ وهل تراه يفكر بها بقدر ما تفكر به؟ تباً له! هي لا تريد أن تفكر به البتة، ولا تريد أي صلة من أي نوع به، فلماذا لا تستطيع إبعاده عن أفكارها حتى وهو بعيد؟ ما الذي يحدث لها؟ حتى أثناء نومها، فإن أحلامها تبدو مليئة بحضور زاين. إنها تعيش حالة من العذاب البطيء، مليئة بالحيرة والقلق الدائم. تعمد زاين ألا يذكر أية كلمة عن عودته أثناء الاتصالات الهاتفية التي تبادلاها بشأن العمل، كما أنه تجنب أي ذكر لذلك عبر البريد الالكتروني. مع مرور كل يوم راحت مخاوفها تزداد، لكن لا بد من وضع نهاية لها في وقت قريب، فزاين لن يبقى في لندن يوماً إضافياً واحداً ما إن ينهي أعماله هناك. لا بد أنه سيعود ليطالب بميراثه. سيعود ليحول حياتها إلى جحيم.

أصابها الارتجاف، فسقطت القطعة المميزة من بين أصابعها على المكتب، وأيقظتها من أفكارها. قالت لنفسها بعصبية: «تباً!».

التقطت الحلية الفاتنة، وهي القطعة الرئيسية في مجموعة الشغف. تفحصتها ملياً لتتأكد أن القطعة الثمينة المفضلة لديها من كل المجموعة لم تصب بأي أذى. حركت القطعة الرائعة بين أصابعها ببطء. شرائط الذهب الصفراء الرقيقة مع مجموعة من حبوب الماس كلها مثبتة بمهارة فائقة حول لؤلؤ من البحر الجنوبي. من النظرة الأولى يدرك المرء أنها قطعة جميلة. إنها من أجمل ما يمكن الحصول عليه من أمنا الطبيعة. لكن بعد تدقيق النظر تحت ضوء خاص، تظهر للعيان صورة مختلفة تماماً، صورة حبيبين متعانقين، جسداهما مصنوعان من اللؤلؤ، أما أطرافهما فمن الذهب، وحبهما الأبدي يشع من خلال ألف حبة ماس صغيرة.

سيطر عليها إحساس بالفرح لإنهائها هذه القطعة النادرة، فضمتها براحة يدها. إنها فخورة لقيامها بهذا العمل الرائع. إنها أجمل قطعة صممتها يوماً، إنها انتصار الوهم. آه! لماذا تخترق أفكارها الآن صور من أحلامها؟ لماذا تذكرها هذه الحلية بزاين؟

لأول مرة رحبت برنين الهاتف الذي قاطع أفكارها. أصغت إلى مساعدتها الشخصية لعدة لحظات قبل أن تعلق: «لا بأس، كلوديت! دعيني أكلمها».

سمعت تحويلة سريعة، وبعد ذلك: «أريد التحدث مع زاين لا مع سكرتيرة أخرى».

تنفست روبي بهدوء.

- آسفة، لكن في هذه اللحظة زاين ليس في المكتب. أنا روبي كلمنجر، هل يمكنني مساعدتك؟

- آه!

ساد الصمت للحظات في الطرف المقابل، ثم تابعت المرأة: «أأنت

روبي؟ أخبرني زاين كل شيء عنك».

تبدلت نبرة صوتها، فأصبحت أكثر نعومة وأقل حدة، كما بدت أكثر إثارة وهي تضيف برضى: «أخبرني زاين أنك جميلة جداً».

شعرت روبي أنها أصبحت عاجزة عن الكلام. هل تحدث زاين عنها مع هذه المرأة؟ هل قال لها إنها... ؟ أبعدت عنها هذه الأفكار المقلقة، وتمكنت من القول أخيراً: «ومن أنت؟».

- إنيليزا كريستيان.

توقفت المرأة عن المتابعة للحظات، ثم أضافت: «لا بد أن زاين أخبرك عني».

فكرت روبي، ولا حتى لمرة واحدة! امتزج الفضول مع الشك. من الواضح أن هذه المرأة ليست إحدى شركائه في العمل. لكن في الواقع لم يكن لديهما الوقت للتحدث بأي أمر، وهما يتقاذفان الشتائم بسبب الشركة.

قالت كاذبة: «بالطبع أخبرني عنك، إنيليزا، لكن يؤسفني أن أخبرك أنني لا أعلم متى سيعود. هل تريدين أن تتركي له رسالة؟».

- آه! كل ما أردته هو التأكد أنه وصل سالماً إلى بروومي، فهذه رحلة طويلة. بدا لي متعباً جداً عندما عانقني مودعاً.

عانقها مودعاً! آه، لا! من الواضح أن إنيليزا ليست زميلته في العمل. شعرت روبي كأنها غرقت في بحر من الماء البارد بسبب الحقيقة التي اتضحت لها كالشمس: إنيليزاهي حبيبة زاين! حاولت جاهدة التفكير بمنطق، ومع ذلك لم تستطع التخلص من الأفكار التي استمرت في مضايقتها، كرؤية صور لزاين يعانق امرأة أخرى... امرأة غيرها، وأن عليه أن يبتعد عن المرأة صاحبة الصوت المثير ليعود إلى بروومي، وأنه متعب من كثرة العناق و... لكن هذا الأمر لا يهمها. فهي لا تهتم مطلقاً لعلاقات زاين العاطفية. إنه لا يعني لها شيئاً، حتى إنها غير معجبة به.

إذاً لِمَ أمضت معظم أوقاتها في الأسابيع الثلاثة الأخيرة تفكر به؟ ما

الذي يحدث لها، بحق السماء؟ عرفت منذ البداية أي وغد هو، إذ تخلى عن والده، وابتعد عنه لسنوات طويلة من دون أن يرسل له كلمة واحدة، وهو يتحدث عنه كشخص دمر حياته. مع ذلك هي ما زالت تحلم به في الليل، وتفكر به طيلة النهار، وتشعر نحوه بشوق كبير، وكأنه كل ما ترغب به في هذه الدنيا. كيف سمحت لنفسها أن تقع ضحية لسطوته حتى في أحلامها؟

حسناً! لن تسمح بذلك مطلقاً بعد الآن، بعد أن علمت أن الجميلة إنيليزا بانتظاره في لندن.

قالت أخيراً وهي تبعد عنها أفكارها: «لاشك أنه سيأسف لأنه لم يتحدث معك، لكنني سأخبره أنك اتصلت عندما يعود إلى المكتب».

- آه! إذا ما عاد في ساعة متأخرة لا تمكنه من الاتصال بي، من فضلك قولي له...

غاب الصوت من الجهة المقابلة، وسمعت روبي ما يشبه التنهيد قبل أن تتابع المرأة: «... إنني أبذل كل ما في وسعي للقيام بما قاله لي، محاولة ألا أفكر كم هو بعيد عني».

وضعت روبي سماعة الهاتف ومزيج من العواطف والأفكار يعذبها. لِمَ تراها تشعر بخيبة الأمل لأن لديه حبيبة؟ هي لن تكون مطلقاً حبيبته، فهذا النوع من الرجال له عشرات الصديقات والعشيقات.

في الواقع، عليها أن تشعر بالامتنان من إنيليزا بسبب اتصالها. فهي تشعر طوال الوقت أن زاين جذاب ولا يقاوم، طوال الوقت راح يخترق الفضاء حولها، ويحرق كل ما لديها من هواء لتتنفسه. عندما أمسك بالقلادة حول عنقها، شعرت بأصابعه كالنار الحارقة، وحين مرر ظهر يده على بشرتها بنعومة خارقة، فعل ذلك ليزعزع ثقتها بنفسها، وليجعلها تشعر بالارتباك وعدم الراحة والخوف. تلك الوسائل هي جزء من مخطط يخترعه، فهو مصمم على استعمال كل وسيلة ممكنة ليجعلها تغادر. لم تنجح تلك الوسائل في إقناعها حتى الآن، وهي لن تقع فريسة لهذه

الأمور في المستقبل. على الأقل، هي لن ترتبك لوجوده قربها بعد اليوم، ولن تظهر مدى تأثرها بما يفعل. عليها أن تبقى هادئة وعملية ومتمتعة بكفاءة عالية.

رفعت قلادة الشغف عن المكتب من جديد، وأدارت هذه القطعة النادرة بين أصابعها. تساءلت كيف تتمكن من القيام ببعض الأعمال بمثل هذه الجودة، فيما تخطئ في أمور أخرى؟ كيف تمكنت من تصميم موضوع هو غاية في الغموض بالنسبة لها، فما الذي تعرفه عن الرومنسية والشغف، بأي حال؟ تاريخها يشهد أنها تملك رأياً سيئاً جداً بشأن الرجال.

* * *

شعر زاين أنه بحالة أفضل لأنه عاد إلى هنا! أغمض عينيه، وترك المياه الحارة تنهمر على رأسه، ورقبته، وكتفيه، لتدلك عضلاته المتعبة بعد ساعات طويلة من الجلوس في مقعده في الطائرة. لكن على الرغم من مشقة السفر، هويشعر بحيوية مطلقة، وكأن مجرد الخروج من الطائرة والسير وتنشق هواء برروميالاستوائي كفيل بإحيائه من جديد. جفف جسمه، وارتدى ثيابه بسرعة. نظر إلى الساعة، ليدرك أن الوقت تأخر، لكن لا شك لديه أن روبي لا تزال في المكتب. تجنب متعمداً ذكر أية كلمة بشأن عودته. أراد مفاجأتها والتأكد أنه لم يعطها فرصة لتخفي أي شيء لا تريده أن يراه. لا بد أنها ستوافقه الآن على أنها غير قادرة على إدارة أي شيء، فكيف بعمل في منتهى الصعوبة مثل شركة باستياني. لا بد أنها الآن أكثر من مستعدة للقبول بعرضه الكريم.

* * *

ما لم يتوقعه زاين هو ردة فعله القوية على رؤيتها من جديد. وجدها جالسة في المشغل، تسجل الملاحظات أمام المنصة الرئيسية، وشعرها الذهبي مجدول على ظهرها. بدت نظرة عينيها ثاقبة وهي تركز على الأصناف المعروضة حولها. وضعت روبي المزيد من المنصات بجانب

الجدران وملأتها بالحلى الدقيقة، كما وضعت جدارية ملونة على الجدار الأخير لتبعد أي نور طبيعي ما عدا الضوء القادم من النوافذ الضيقة في أعلى الغرفة.

تحت الأضواء الاصطناعية، وحتى وهي محاطة ببعض أغلى الحلى في العالم كله، بدت هي الأجمل والأكثر إشراقاً. الفستان المقلم الذي ترتديه يبدي رشاقة جسدها ودقة خصرها، أما الكرسي الذي تجلس عليه فلا يخفي أنوثتها وجمال ساقيها الطويلتين. شعر زاين بجفاف في فمه. لا عجب أن والده أحبها، ولا عجب أنه احتفظ بها لنفسه طوال تلك السنين!

شد قبضتيه بقوة وهو يراقبها. ما الذي تفعله هنا بأي حال؟ هل تلعب بمجوهراتها؟ من المؤكد أن هناك عملاً فعلياً يجب القيام به!

- ما الذي تفعلينه؟

قفزت روبي لدى سماعها صوته، وأدارت رأسها على الفور. احتاجت إلى لحظة واحدة لتنعم النظر إليه. من الواضح أنها تفاجأت لرؤيته، قبل أن تصبح باردة جداً وعلى الفور. عادت مباشرة إلى العمل، وتابعت وضع الملاحظات. قالت بلا اكتراث: «إذاً، ها قد عدت. أكانت رحلتك جيدة؟».

تملكه إحساس مزعج بالاحباط، لأنه توقع أكثر من هذه اللامبالاة المملة كردة فعل لرؤيته. أين الرعب الذي ستشعر به؟ أين الإسراع لإخفاء ما تفعله؟

سألها: «أتستعدين لعرض المجموعة؟».

سار من مكانه قرب الباب، كأنه منجذب بقوة بالرغم عنه، ولديه رغبة بعد هذه الأسابيع الطويلة أن يتنشق عطرها وأن يتأكد إن كان تماماً كما يتذكره.

قالت روبي من دون أن ترفع نظرها إليه: «بما أنه لم تبقَ سوى عدة أسابيع قبل افتتاح المعرض، لا داعي لهذا السؤال».

- و... بالطبع لم يحدث أي شيء هام أثناء الفترة المنصرمة في الشركة.

رفعت رأسها بقوة، وسألته: «ماذا تقصد بالتحديد؟».

- كما قلت... عرض المجوهرات أصبح قريباً جداً. ألا ينتظر ما تفعلينه الآن حتى وقت مناسب أكثر؟ أليس هناك مسائل أكثر أهمية للتعامل معها في الوقت الراهن؟

- وهل أنت مؤهل لتحديد الوقت المناسب، لاسيما بعد غيابك لمدة ثلاثة أسابيع؟

- لماذا أنت دائمة الجدال؟

- يمكنك أن تسأل نفسك السؤال ذاته.

ضغط زاين على أسنانه بقوة لدى سماعه إجابتها، لكنه أصبح أقرب الآن... قريب جدا ليحصل على الإجابة عن سؤاله الصامت الأول. تنشق عطرها، وشعر بإحساس غريب وحرارة مألوفة تجتاحه. يمكنه أن يقول إن رائحتها أفضل مما يتذكر. إنها أكثر حيوية وأكثر نضجاً... إنها أكثر أنوثة...

- فكرت أنك قد ترغبين بتناول العشاء معي.

سمع نفسه يتفوه بتلك الكلمات، وتساءل ما الذي يفكر به بحق الجحيم. لقد خطط أثناء عودته، لإطلاق كل ما لديه من أسلحة، أما الآن فها هو يتابع: «هناك الكثير من الأمور التي حدثت خلال الأسابيع الماضية والتي يجب أن نتحدث عنها».

أجابت روبي من دون أن تفكر: «أتعتقد ذلك؟».

تعمدت تجاهل وجوده على الطرف المقابل من المنصة، ومدت يدها لتمسك بقرطين من اللؤلؤ متدليان على حبال من الذهب بشكل دائري. نظرت إليهما جيداً قبل أن تكتب المزيد من الملاحظات.

ما هذه اللعبة التي تمارسها بحق السماء! منذ ثلاثة أسابيع كانت ردة فعلها تماماً كأي امرأة. بدت دافئة وجذابة، وقد تجاوب جسدها معه

www.elromancia.com

بينما كان فمها يقذف النيران، وهذا تماماً ما يريده. هو غير مهتم بها لنفسه. إنه يهتم للأسهم التي أورثها إياها والده. إن تمكن من جعلها تشعر بالقلق بشأن البقاء وإدارة شؤونها، فهذا ما يريده بالتحديد. لكن، ما الذي حدث في تلك الفترة وجعلها باردة على هذا النحو؟

سألها: «وماذا تعتقدين أنك تفعلين؟».

- إنني أضع تفاصيل العرض على الورق. اتفقنا مع ثلاث عارضات من أوروبا، كل منهن ذات لون بشرة مختلف عن الأخرى. وأنا أعمل على تحديد ما ستضعه كل عارضة. صاحبة الشعر الأسود تناسبها بعض التصاميم أكثر مما تناسب صاحبة الشعر الأشقر، لكن عليهن أن يتعاونّ مع مصمم الثياب الذي تعاقدنا معه لأجلهنّ أيضاً. من المهم جداً ألا نترك أي مجال للصدفة في ليلة العرض.

قال زاين بإصرار: «لا، لم أقصد ذلك».

سألت ببراءة ومن دون أن تنظر إليه: «ماذا إذاً؟».

في الواقع سئم من التحدث إلى قمة رأسها، فقال: «انظري إلي».

- إنني منشغلة الآن، زاين. كما أن الوقت تأخر. ألا يمكن لما تريده الانتظار حتى الغد؟

- انظري إلي!

جمدت روبي مكانها، وللحظات لم تتمكن إلا من التنفس. وضعت القرطين في مكانهما، وضمت يديها إلى بعضهما على المنصة ثم رفعت نظرها إليه. بدت عيناها كعيني تلميذة عليها القيام بأمر ما تحت مراقبة أستاذها.

- نعم؟

عيناها البريئتان وملامح وجهها الصريح أشعلته. ما الذي يجري هنا؟ إنها ليست فتاة بريئة، أما هو فكل ما يمكنه القيام به ليبقي سيطرته على نفسه هو ألا يميل نحو المنصة ليأخذها بين يديه، فيعانقها.

ما كان عليها أبداً أن ترفع نظرها إليه! تمنت روبي على الفور لو أن

بإمكانها أن تستدير لتتخلص من تينك العينين الثاقبتين، وتلك الملامح القاسية المسيطرة بكل ما فيها، لكنها لا تجرؤ على القيام بذلك الآن. لا يمكنها أن تتراجع، وليس عليها أن تفعل، لاسيما إن تذكرت أي نوع من الرجال هو. ذكرت نفسها بأنه متعالٍ ومتفاخر، وبدأت بوضع لائحة بنقاط ضعفه وعيوبه. إنه مليء بالمرارة والكره بسبب معاملة والده له، بغض النظر كم يستحق ذلك. تذكرت حقيقة أنه أبقى أمر إنيليزا سراً عنها، وهذا ليس بالعمل المشرف، لا سيما أنه أظهر اهتماماً بها. هل هو وضيع جداً ليقدم على مغازلة امرأتين في آن معاً؟ لا يمكنها أن تتساهل بهذا الشأن.

قالت وهي ترفع ذقنها عالياً بكبرياء: «حسناً! الآن أصبحت تملك كل انتباهي. ما الأمر؟».

- هل انتهيت مما تفعلينه؟

- وهل يهمك الأمر؟

- التحضيرات لعرض الحلى في الاحتفال، هل انتهيت منها؟

وقف قربها يحدق بها، واضعاً يديه على المنصة، وجسده يميل بشكل منذر بالخطر نحوها. حاولت روبي أن تتجاهل عرض كتفيه، وقوة عضلات ذراعيه. حاولت جاهدة أن تبعد نظرها عن ياقة قميصه المفتوحة عند العنق، حيث تشع بشرته تحت شعر أسود.

قالت متوترة: «ربما... في الوقت الراهن، لكنني لا أرى...».

قاطعها على الفور: «سنذهب إلى مكان ما».

هزت رأسها قائلة: «لا داعي لذلك».

- تأخر الوقت، ويجب أن تأكلي...

مال نحوها أكثر، فملأ كل مسافة تستطيع رؤيتها. شعرت روبي بهالة من القوة تملأ الفضاء حولها، لدرجة أنها كادت أن تتذوقها. لكن الأسوأ من ذلك، بل الأشد سوءاً بالنسبة لها هو أن حضوره يجعلها تشعر بشوق لم تعرفه من قبل، مع أنها قررت ألا تتأثر به. شعرت بغصة وهي تفكر أن

عليها الابتعاد من هنا.

تابع زاين مؤكداً على ما يريده: «... كما أن هناك أموراً علينا بحثها. أحتاج إلى تقرير مفصل عن هذا العرض القادم، فأنت تنفقين الكثير من المال على إحضار العارضات وضيوف الشرف».

- تمت الموافقة على ميزانية العرض قبل الآن.

- ليس من قبلي. أريد تقريراً كاملاً مليئاً بالتفاصيل الصغيرة.

نهضت روبي على الفور، لتتخلص من هذا الاحساس القوي به، فهو يكاد يسيطر حتى على تنفسها. تباً! كيف يمكن له أن يؤثر بها بعد كل ما عرفته عنه؟ لا بد أنها متعبة أكثر مما تعتقد. إنها بحاجة إلى النوم... إلى نوم طويل عميق جداً، لكي تحظى بفرصة لتبني دفاعاتها وتسيطر على هذا الضعف المزعج الذي يتسبب بإرباكها. بإمكانهما التحدث غداً، أما الليلة فهي مصممة على الذهاب للنوم. قالت مقترحة: «ألا يمكنني أن أسلمك التقرير غداً، زاين؟».

أبعدت الكرسي إلى الوراء، فهي بحاجة لكي تضع مسافة بينهما. بدأت بجمع أوراقها، وأعادت المجوهرات إلى صناديقها المخملية، ثم تابعت: «تأخر الوقت، ولا بد أنك متعب بعد تلك الرحلة الشاقة».

استدار زاين حول المنصة ليأتي إلى جانبها، محاولاً قطع الطريق على أية خطة لها بالهرب.

- هل تتظاهرين أنه لم يحدث في الشركة أمر يجب إعلامي به في الوقت الذي كنت فيه بعيداً؟

- أرسلت لك رسائل عبر البريد الألكتروني. ألم تقرأها؟

- قرأت كل ما أرسلته لي.

- إذاً، هذا كل ما يجب أن تعرفه.

- أليس هناك أي شيء آخر؟ أي شيء لديك بعض الشكوك حوله؟

رفعت روبي نظرها إليه، وهي تشعر بالكره بسبب نبرة صوته التي تظهر بوضوح عدم تصديقه لما يسمعه منها. إذاً، بالإضافة إلى أخطائها

السابقة، هو يعتقد الآن أنها غير كفوءة، وغير قادرة على إدارة العمل الذي كانت تساعد في إدارته مع لورانس لسنوات مضت.

- في الواقع، أنت على حق، زاين. هناك شيء ما عليّ إخبارك به، ويؤسفني أنني لم أفكر به. لكنني لست بحاجة إلى وقت طويل لإخبارك به.

قال بنبرة راضية: «حسناً! ما هو؟».

أقفلت روبي صندوق آخر حلية أمامها، ثم وضعت دفتر ملاحظاتها في ملفها، ووقفت لتنظر إليه مباشرة قبل أن تقول: «وصلتك رسالة من حبيبتك. تمنت لك أن تصل بخير إلى هنا، لأنك بدوت متعباً جداً عندما عانقتها عناق الوداع».

٦ - شريكين لدودين

بالكاد تردد زاين للحظة قبل أن يقول: «هل اتصلت إنيليزا؟».

ما كان لكلامه أن يؤثر مطلقاً على رحيلها المنتصر، فقد شعرت بالقوة لمفاجأتها لهذا الرجل، وكادت أن تفرح بالفعل وهي تسير خارجة من الغرفة. مع ذلك، هذه الجملة بالتحديد «هل اتصلت إنيليزا؟» أكدت شكوكها بأن هناك امرأة بانتظاره عندما يعود إلى لندن، وأن الأمر لا يحتمل الخطأ. اهتمامه بها لا علاقة له مطلقاً بأي إحساس بالانجذاب نحوها، بل له علاقة فقط برغبته في السيطرة عليها.

بطريقة ما، لم يبدُ نصرها مرضياً لها بالفعل. بطريقة ما، شعرت بإحساس من الفراغ والضياع. حسناً! لا يجدر بها أن تشعر بذلك، فهذا يؤكد أنها تهتم به، ما يجعلها أكثر غضباً من نفسها.

استدارت روبي على الفور، وهي تشعر بالسأم من الخداع ومن الأكاذيب، ومن الضغط القوي الذي تجد نفسها فيه في كل مرة تقابل فيها هذا الرجل. قالت بسرعة: «بالطبع إنيليزا! لا أستطيع أن أصدق، زاين! قل لي بالتحديد كم حبيبة لديك؟».

- من الصعب أن تكون إنيليزا حبيبتي.

رمشت بعينيها لتخفي دهشتها، إذ أدركت أنه أصبح بقربها، بينما كانت تسير مديرة ظهرها له. أصبح قريباً جداً لدرجة أنها تراجعت إلى الوراء نحو منصة وضعتها قرب الجدار.

- أهي عشيقتك إذاً؟

- وهل يزعجك هذا؟

- لا! على الإطلاق.

تابعت بإصرار، وهي تنظر إلى أي مكان كي لا تنظر إليه: «حياتك الخاصة لا تعنيني مطلقاً».

لم يقل زاين شيئاً، لكن عندما نظرت إليه ثانية لمحت ابتسامة على وجهه، ولاحظت أن عينيه تلمعان بشيء من الحرارة والخطر. جعلها ذلك تشعر فجأة بحرارة تعتريها. حبست أنفاسها وهي تحاول بشدة أن تقمع ردة فعلها. قال زاين وهو يقترب منها: «انسي أمر إنيليزا، إنها مجرد صديقة قديمة، وأنت لست بحاجة لتشعري بالغيرة منها».

اعترضت روبي وهي تهز رأسها: «آه... لا! أخطأت بما تفكر به».

إنها لا تشعر بالغيرة، ولا تهتم لأمره...

ابتسم زاين ابتسامة ماكرة، غير مصدق ما قالته، ما جعل ملامحه تتغير بسرعة إلى ملامح أكثر تصميماً وأكثر الحاحاً... أكثر نهماً وشوقاً... اعترف بصوت منخفض: «اشتقت إليك. اشتقت إلى جدالك وإلى عينيك الزرقاوين المشعتين، والأهم من ذلك كله، اشتقت إلى ذلك الاحساس الرائع الذي أشعر به عندما ألمسك».

رفع يده ليبعد خصلة متدلية من شعرها إلى ما وراء أذنها. ارتجفت روبي ما إن لمست أصابعه أذنها، وشعرت كأنها تسمرت في مكانها، فيما بدأ قلبها يدق بعنف. مال زاين برأسه نحوها أكثر، وعيناه تجبران عينيها على النظر إليه. سألها: «هل فكرت بي أثناء غيابي؟».

- أنا... أنا فعلاً لا أتذكر، إذ كان لدي الكثير من العمل.

رمشت بعينيها، وقلبت نظرها من جانب إلى آخر، لتجد طريقة للهرب. هذه المرة ضحك زاين بصوت منخفض بطريقة جعلت عمودها الفقري يذوب، وجعلتها تنسى كل ما هو متعلق بالهرب.

- هذا أمر مؤسف، لأنني فكرت بك كثيراً. كلفتني في الواقع العديد من الليالي بلا نوم.

قالت روبي بنبرة فيها الكثير من الشجاعة والثقة أكثر مما تشعر به في

الواقع: «هذا أمر مؤسف. ربما يمكنك أن تأخذ شيئاً ما لتفادي ذلك».

- آه...!

تابع قائلا ويداه لا تبعدان كثيراً عنها، فيما نظرته تحمل قوة جاذبة كالمغنطيس: «هذا ما أنوي القيام به...».

توقف الزمن بينهما... فجأة تقلص عالمها إلى تلك اللحظة من التفاهم، إلى ذلك التوقع الذي يأتي قبل العناق. لاحظ زاين على الفور تبدل نظرة عينيها، إذ حملت الارتباك والتساؤل. أحاط بذراعه الحرة خصرها ليمنعها من أي تراجع مفاجئ، أما يده الأخرى فانزلقت لتحيط بعنقها. بالرغم من الصدمة الواضحة عليها، لم تحاول روبي الهرب، بل استسلمت لعناقه...

عانقها زاين بنعومة وشوق. تباً! إن عناقها رائع. كان يعلم أنه كذلك. كان يعلم أنها رائعة، لكن لم تكن لديه أية فكرة عما سيشعر به عندما سيضمها بين ذراعيه.

وضعت روبي يديها على قميصه بتردد. تنفس زاين بصعوبة جراء لمستها تلك... وجد الشريط الذي تربط شعرها به. شده قليلاً من طرفيه ما جعله ينفك على الفور، تاركاً الشعر الطويل ينزلق على كتفيها. ترك الشريط يسقط بلا اكتراث على المنصة، ليمرر أصابعه عبر خصلات الشعر المتشابكة، مستمتعاً بإحساس الحرير الناعم على يده.

ما الذي تفكر به بحق الجحيم؟ إحساسها بسقوط رباط شعرها اخترق ستارة الضباب التي تلفها. فتحت روبي عينيها بسرعة على ضوء الحقيقة القاسية، بالرغم من أن إحساسها بدفء عناقه كان يدفعها إلى إغماض عينيها من جديد. حولت يديها إلى قبضتين، ودفعته بعيداً عنها، محاولة أن تضع مسافة بينهما. أدارت رأسها وهي تضغط بدون أي أمل لتبعده عنها. إنه قوي جداً، وهناك الكثير من العضلات القوية تحت يديها، كما أن جسدها يشعر بالضعف، قالت بسرعة وهي تهز رأسها: «زاين، توقف!».

لامس بيده جانب خدها وهو يهمس بصوت عميق: «أنت تريدين هذا. أستطيع أن أشعر بذلك».

ارتجفت روبي مقاومة شحنة من العواطف تهاجمها، في خضم يأسها، استعملت السلاح الأكثر قوة في دفاعها عن نفسها. سألته بنبرة مرتجفة، بالكاد عرفتها هي نفسها: «ما الذي تريده؟ أتريد أن تكتشف براعتك بالمقارنة مع والدك؟».

تركها زاين بسرعة كأنها مادة سامة. دفعها بعيداً عنه من دون أن يتفوه بأية كلمة. عادت روبي إلى سابق عهدها معه وهي ترتجف، ثم أسرعت بالمغادرة فوراً. نظرت بحذر إليه بلمحة خاطفة من وراء كتفها، منتظرة أن يحاول التقرب منها مجدداً، لكنه لم يتحرك، بل تركها ترحل.

عندما غادرت المكاتب كلياً ترك قبضته تتهاوى على سطح المنصة القاسي...

بالكاد سمع زاين وقع قبضته على سطح المنصة. لم يشعر بالسوء يوماً أكثر مما شعر به في تلك اللحظة. ثلاثة أسابيع لم تغير فيه شيئاً إلا أنها جعلته أكثر شوقاً إليها! لقد عانق روبي هنا هذه الليلة، وكاد... كاد يقع في حبائل عشيقة والده! هذا كثير عليه. كثير جداً. إنه ليس أفضل من والده. ليس أفضل من الرجل الذي لا يحمل له أي احترام. سار نحو سيارته، وهو يشعر بإحساس قوي من الألم، وبإحساس أكبر من الازدراء بالنفس. إنه لأمر سيء بما فيه الكفاية أن تكون روبي عشيقة والده، وأنها أحبته فعلاً. لكن مشكلته الحقيقية، أنه على الرغم من ذلك كله، ما زال يتوق إليها.

* * *

ما كان عليها أبداً أن تسمح له بمعانقتها! كيف ستتظاهر بعد اليوم أنها لا تريده أن يتودد إليها، وكيف ستدعي أنها غير متأثرة بجاذبيته الطاغية؟

تجنبا رؤية بعضهما ليومين كاملين. عملا في معظم الأوقات على أن يبقيا بعيدين عن مجال عمل بعضهما. بالكاد تحدثا عندما يتواجهان،

لكن ذلك لن يدوم. هذا ما فكرت به روبي وهي تشغل جهاز الكومبيوتر على مكتبها وتضع حقيبتها داخل المكتب. لن يستطيعا إدارة الشركة بهذه الطريقة. عاجلاً أم آجلاً لا بد لهما أن يتحدثا. نظرت إلى دفتر ملاحظاتها اليومية، وابتلعت غصة عندما رأت أن مساعدتها الشخصية سجلت بجوار الساعة التاسعة والنصف «لقاء مع زاين في قاعة الاجتماعات».

تعلم روبي أن هناك مسائل عليهما بحثها، فما زال زاين بانتظار تقريرها عن ميزانية عرض مجموعة الشغف، كما أن هنالك زيارة لافتتاح حصاد اللؤلؤ الوشيك الحدوث. لكن معرفتها أن هناك عملاً عليهما اللقاء لأجله لم يخفف من الإحساس بالخوف المحيط بها. إنها لا تريد رؤية زاين. لا تريد التعرض له أو لجاذبيته الطاغية. لا تريد الاحساس بالانجذاب نحوه. قال لها: «أنت تريدين ذلك» وكان على حق. حتى لو أنكرت الأمر، فذلك لن يشكل أي فرق. تركته يعانقها بخيارها. سمحت له أن يضمها إليه واستمتعت بعناقه. لكن حتى أثناء ذلك، ليس تصميمها أو إرادتها ما أنقذاها بل لورانس، تماماً كما دافع عنها في السابق عندما احتاجت إلى المساعدة. يبدو أنه ما زال الدرع الواقي لها حتى الآن.

لكن إلى متى سيصدق زاين أنهما كانا حبيبين؟ وماذا سيحدث إن اكتشف الحقيقة؟

* * *

وجدت روبي زاين بانتظارها عندما ذهبت إلى هناك. كان جالساً بحزم وقوة على رأس الطاولة. بدا وجهه غاضباً، وصوت ارتطام القلم الذي يحمله بيده على الطاولة يثبت عدم صبره. مع أن الساعة على الجدار وراءه تظهر بوضوح أنها بالكاد تأخرت دقيقة واحدة. قال بغضب: «لطف منك أن تقابليني أخيراً».

ابتسمت له روبي بعذوبة بقدر ما تسمح لها الظروف الراهنة، وأجابت: «آه! أؤكد لك أنني سعيدة بلقائك أيضاً».

رأت بوضوح كيف ضغط على أسنانه تجنباً لإجابتها بسخرية كما فعلت. علمت أنه ما زال غاضباً من نفسه بسبب ما حدث بينهما منذ ليلتين، وهذا يناسبها. كلما ازداد غضباً كلما سهل عليها نسيان ما تشعر به نحوه، وكلما شعرت بقوة أكبر لرفضه.

انتظر زاين حتى جلست على بعد مقعدين منه وهو يحرك القلم بين أصابعه. لا مجال لأن تجلس بالقرب من توتره الواضح. قال: «حسناً! لنبدأ بذلك التقرير الذي وعدتني به عن ميزانية العرض».

بعد مرور ساعتين شعرت روبي كأنها غدت ركاماً جافاً، فرأسها مصاب بدوار بسبب الأسئلة التي لم تنضب بالرغم من طول الوقت. إن كان زاين قد أعجب بطريقتها في الإدارة وإصرارها على شرح أبواب الانفاق حتى آخر دولار، فهو لم يظهر ذلك. بدلاً من ذلك راح مزاجه يزداد سوءاً مع مرور كل دقيقة. تحدثا عن الأعمال الباقية في روزنامة عملهما بسرعة أكبر، واتفقا على كيفية تأمين الحراسة الكافية للعرض. تشاجرا بسبب تبدل صغير في وضع الموظفين، حيث أقدمت روبي على وضع خطة لزيارة مزارع اللؤلؤ في الأسبوع القادم إيذاناً ببدء الحصاد. بالطبع هي ليست راغبة في الذهاب مع زاين، لكن العمل في تربية اللؤلؤ تغير كثيراً منذ كان زاين يعمل فيه، ومن المهم أن تنقل إليه الأشياء التي تعلمتها، لاسيما أن لورانس ليس هنا ليعلمه هذه الأمور بنفسه. أخيراً انتهيا من حل هذه المشكلة، وبدأت روبي بجمع أوراقها لتغادر.

- هناك أمر أخير. أعتقد أن الوقت حان لنضع بعض القواعد الرئيسية لإدارة هذه الشركة، وها أنا أقدم لك ما أراه مناسباً. الآن وبعد أن أصبحت في بروومي بشكل دائم، سأتولى بنفسي إدارة الشركة، وأنت يمكنك العودة إلى تصميم الحلى بدوام كامل.

شعرت روبي بضغط دمها يرتفع وهي ترمي بنفسها من جديد على المقعد. أجبرت نفسها على إظهار ابتسامة مجاملة، ثم علقت: «أقدر لك أنك مهتم جداً لإعلامي بهذه القواعد الرئيسية، تاركاً لي المجال الكافي

لعملي في تصميم الحلى، لكنني أستمتع فعلاً في إدارة الشركة زاين، لهذا أفضل أن أبقى في الإدارة أيضاً إذا كان الأمر لا يزعجك».

أجابها: «لا أجد ضرورة لذلك، فأنا المسؤول الآن، وأنت ستحظين بفرصة للتركيز على العمل الذي تم توظيفك لأجله».

- يبدو أنك نسيت أنني لست مجرد موظفة هنا الآن. أنا بالفعل أملك تقريباً نصف الشركة. شركة كنت أساعد في إدارتها، بالإضافة إلى عملي في التصميم قبل وفاة لورانس.

- أبي كان مريضاً، أما أنا فلن أحتاج إلى مساعدتك.

- لم يكن لورانس دائماً مريضاً. بالإضافة إلى ذلك، أعتقد أن حصتي في الشركة تخولني بأن أقرر كيف يجب أن يتم العمل هنا، تماماً كما أراد والدك.

أطلق زاين زفرة قوية، حذرها بنعومة، وعيناه لا تفارقان عينيها: «لا تجعلي هذا العمل أكثر صعوبة مما هو عليه في الواقع».

بدت كلماته الهادئة كتهديد مباشر، فملأت الجو بينهما بمزيد من التوتر. تمنت روبي فقط أن تحمل عيناها الزرقاوان الباردتان مقدار العداوة التي تشعر بها نحوه الآن.

قالت تتحداه: «آه، ماذا؟ هل ستعانقني من جديد؟».

انكسر القلم بين أصابع زاين. حبست روبي أنفاسها وهي تراقب القطعتين تقعان على الطاولة. لم يهتم زاين للقلم، فرأسه يضج بمئات الأفكار، وعيناه منشغلتان بالنظر إلى عينيها ووجهها الرائع. آه! أجل إنها شهية كفاكهة استوائية، ومشتاقة لعناقه بالرغم من اعتراضاتها. والآن هي تتحداه ليعانقها.

أعاد نظرته إلى عينيها، وسمح لنفسه بالابتسام. شعر للمرة الأولى هذا اليوم أن له الكلمة الأخيرة.

- إن كان هذا ما تتمنينه، فأخشى أن أقول لك إنك ستعانين من خيبة أمل كبيرة.

غادر الغرفة قبل أن تعترض، شاعراً بالرضى لأنه حظي بالكلمة الأخيرة، وسعيد لأنه تمكن من البقاء وتحمل هذا اللقاء الطويل، مقاوماً شوقه لضمها إليه ومتابعة ما بدأه منذ ليلتين فقط.

بإمكانه مقاومتها، بالرغم من جمالها وحلاوتها... سيقاومها بالتأكيد، لكنه سيريها أين هو مكانها الفعلي في هذه الشركة.

www.elromancia.com

٧ - درب القمر

على مسيرة ساعتين شمالي بروومي، وفي مغارة قديمة على ساحل كيمبرلي ذات الصخور الحمراء والبساتين الخضراء، التقى القارب مع السفينة التي ستتولى الحصاد في أول مزرعة من المزارع العشر التي تملكها عائلة باستياني. المياه هنا صافية وزرقاء. المحارات الملقاة تحت سطح الماء موضوعة على ألواح مربوطة إلى حبال طويلة تسمح لها بأن تتأرجح إلى الوراء وإلى الامام مع كل موجة قادمة. رفعت روبي وجهها إلى السماء، وتنشقت الهواء الدافئ المشبع بملح البحر، وهي في اليخت السريع الذي توقف مباشرة أمام سفينة الصيد. إنه لأمر جيد أن تكون بعيدة عن التوتر المتصاعد في المكتب، لكن هذا لا يعني أن سبب هذا التوتر بقي هناك. اليوم يبدو زاين مرتاحاً أكثر من أية مرة رأته فيها. إنه يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً رياضية. شعره الأسود الكثيف يتطاير حول وجهه، أما نظارتاه الشمسيتان السوداوان فتخفيان عينيه اللتين تشعر روبي أنهما مركزتان عليها، فهي تشعر بوخز دائم في بشرتها وهذا خير دليل على ذلك.

راحا يتجنبان رؤية بعضهما، وعندما يتعذر ذلك ويُفرض عليهما اللقاء، كانا يتواجهان كأنهما شخصان باردان عاطفياً، يمران عبر ممر ضيق جداً. لكن تحت هذه البرودة، كانت روبي تشعر بحرارته، وباستيائه الكبير الذي يرشح منه، كما تشعر بنظراته ترصد حركاتها. بدا كالقناص الذي يراقبها وينتظر. لكن إن كان قد تقبل أنها بعيدة عن متناوله، فلماذا يستمر في مراقبتها؟ لماذا لا يستطيع تركها وشأنها؟ أتراه مصمم على

التخلص منها بأية وسيلة ممكنة، لذا قرر ألا يتركها تشعر بالراحة أبداً، معرضاً إياها بشكل دائم إلى توتر حاد؟ تباً له! لن يتمكن من التخلص منها بهذه السهولة. جمعت روبي أغراضها القليلة ما إن ارتطم القاربان ببعضهما فوق الأمواج المرتفعة. قررت أنها لن تسمح له بأن يفسد رحلتها اليوم، فهناك إحساس خفي بالحماس لدى كل شخص هنا بسبب بدء موسم الحصاد، كما أن روبي تشعر بإحساس كبير من التوقع.

استدارت إلى جانب القارب، فوجدت زاين يقدم لها يده ليساعدها كي تنتقل من القارب السريع إلى قارب الصيد. الضيق الواضح على وجهه جعلها تتراجع إلى الوراء. فكرت أنه يقدم لها يده فقط، ومن الحماقة أن ترفض. بتردد قدمت له يدها، سامحة له أن يلفها بيده الكبيرة، ويسحبها نحوه وهي تتسلق الحاجز. قفزت على ظهر المركب، راغبة في جعل فترة احتكاكهما أقصر ما يمكن، لكنه استعمل قوته ليشدها إليه قبل أن تضع قدميها على الأرض، وهكذا أجبرت على أن تمد يدها إلى صدره كي لا تقع عليه.

رفعت روبي نظرها إلى وجهه. شعرت فجأة بأنفاسها تنقطع، وبقلبها يدق بسرعة، لأنها تعلم أن عينيه تحدقان بها بقوة لاذعة تحت هاتين النظارتين السوداوين. تمكنت من القول: «شكراً لك».

تراجعت إلى الوراء، مبعدة يدها عن صدره، ظهرت ابتسامة مقتضبة على وجه زاين، قبل أن تختفي ابتسامته وراء تنهيدة، ثم ترك يدها، واستدار مبتعداً ليلقي التحية على قبطان سفينة الصيد. رمشت روبي بسرعة، وهي تجمع أفكارها، ما إن رحب بهما القبطان، ورافقهما في جولة صغيرة على المركب، معرفاً إياهما على فريق العمل. بعد ذلك انتظرا حتى تم سحب أول لوح من ألواح المحار من البحر.

راقبا بفرح وذهول كيف تفتح الأصداف بتأنٍ لإزالة الكنز من أعماقها. برهبة وصمت، راقبا الخبير يستعمل ملقطاً صغيراً لينزع اللؤلؤة الرائعة من المحار بمنتهى الدقة والمهارة، قبل أن يضع حبة خرز صغيرة

مكانها أكبر قليلاً هذه المرة، ثم ينزع الملزمة عن الصدفة، وينهي العملية. راقبا العملية تتكرر مرات عدة، مبتهجين لرؤية الكنوز التي تنزع من الأصداف التي بقيت في أعماق البحار لسنوات. همست روبي تحدثه بينما تابع العمال عملهم الدقيق: «منذ متى لم ترَ حصاد اللؤلؤ؟».

اعترف زاين بصدق: «منذ فترة طويلة جداً. لا أتذكر متى كانت آخر مرة».

شعر بالذهول والفرح من عالم يجب أن يكون مألوفاً جداً لديه، لكنه فجأة بدا له عالماً جديداً مليئاً بالإثارة والحماس.

- تبدلت الأمور كثيراً. أتذكر أنهم كانوا يحضرون الأصداف إلى الشاطئ للقيام بمثل هذه الأعمال.

هزت روبي رأسها، وهي تراقب الخبراء يكررون العمل بالمهارة ذاتها مع ألواح أخرى، ويخرجون الأصداف القليلة التي لم تنجح في أن تصبح أصدافاً كبيرة صالحة لإنضاج اللؤلؤ.

- هذه الطريقة لا تزعج المحار إلا لوقت وجيز، وهكذا تزداد المحاصيل بشكل واضح.

إنه عمل ناجح بدون أي شك، وهذه ليست المرة الأولى التي يتذكر فيها زاين ما الذي افتقد إليه خلال السنوات الأخيرة الماضية. فيما كان يعمل بجهد قوي ليبني عمله الخاص في أوروبا، محاولاً أن يؤكد وجهة نظره، كان والده يطور العمل هنا. وطوال سنين غيابه، كانت روبي بجانب والده.

من المؤكد أنها تعلمت الكثير، وأنها تعرف أكثر مما اعتقده منذ النظرة الأولى. تحرك قليلاً، وهو لا يشعر بالراحة من المعلومة الجديدة التي بدأت تترسخ لديه. حصلت روبي من والده على أشياء أخرى غير العلاقة الجسدية. حسناً! هنا في هذا المكان، حيث يحيط بهما طاقم من عشرين رجلاً أو أكثر، بإمكانه أن ينظر إليها، وأن يعجب بها. ما من ضرر في ذلك. بإمكانه حتى أن يلمسها، تماماً كما فعل عندما أمسك

بيدها لتنتقل من اليخت ودفعها نحوه. هنا يمكنه أن يلمسها ويقترب منها، من دون الاحساس بالخطر من أن تجرفه العاطفة.

مال نحوها، ليس لأنه يريد أن يسألها سؤالاً محدداً، بل ليصبح أقرب منها، وضع فمه قرب أذنها وتنشق عطرها ورائحتها الخاصة.

- كم من اللؤلؤ سيجمعون اليوم؟

استدارت لتجيبه، فرأى الارتباك واضحاً في عينيها الزرقاوين.

- تحدثنا عن ذلك ونحن نتجه إلى هنا. على السفينة أن تصطاد خمسة آلاف لؤلؤة في اليوم. نحن نحتاج إلى عشرة أيام لننتهي من الحصاد في هذه المزرعة بالذات.

هل تحدثا عن ذلك من قبل؟ هذه أخبار جديدة عليه. ربما كان يركز حينها على مظهرها في سروالها القصير الضيق والقميص البيضاء من دون كمين فوقه. ربما تناسق الثياب مع بشرتها ذات اللون العسلي هو السبب الذي جعله غير قادر على إبعاد عينيه عنها طوال الرحلة، والآن هي قريبة منه لدرجة أنه قادر على تنشق رائحتها، وتنشق كل العطور الفريدة الممتزجة معها.

على مضض أعاد زاين انتباهه إلى نزع اللؤلؤ، فراح يراقب العمل باهتمام وهو يلاحظ الاختلاف الكبير في اللآلئ المتجمعة، فكل حبة لؤلؤ هي اكتشاف مثير بحد ذاته. بعض اللآلئ مثالي الاستدارة، وبعضها الآخر موشح ببعض الخطوط المتنامية فيها. هناك لآلئ مثالية الشكل والحجم، والبعض الآخر أصغر حجماً، أما الألوان فأمر مختلف تماماً، فهي تتحول من الأبيض الفضي إلى الزهري والذهبي مع مختلف تدرجات الألوان بينها.

شارك زاين بالاحساس بالفرح مع كل لؤلؤة جديدة، وشعر بخيبة الأمل عندما لا تظهر لؤلؤة في المحار. أدرك كم يفتقد لهذا العمل المثير. بدا له عمله السابق في المصارف باهتاً بجانب هذا العمل المشبع بالحيوية والنشاط في الطبيعة. نظر من جديد الى الوجه الجانبي لروبي،

وهي تراقب الحصاد بدهشة ورهبة.

قالت له روبي ما إن بدأت السفينة برحلة العودة: «سيتم تقييم اللآلئ عندما نعود إلى بروومي. سنترك أفضل الحلى للعروض التي ستقام في المستقبل، وما تبقى سيتم بيعه إلى أسواق أخرى عبر البحار».

هز زاين رأسه معلقاً: «أنا سعيد لأنني أتيت اليوم. تبدلت الأمور كثيراً في غضون عشر سنوات. يبدو أن والدي كان يعلم فعلاً ما الذي يفعله».

وضعت روبي يدها على ذراعه، وابتسمت له ابتسامة عريضة. أخيراً تمكن من قول شيء صحيح. قالت: «شكراً لك».

عكست عيناها لون المحيط، أما شعرها المتدلي حول وجهها فبدا كأنه يضج بالحياة. وصلت ابتسامتها إلى أعماقه، كأنها تمسك به بقوة. لم يرها قط تبتسم هكذا من قبل. من المؤكد أن هذه الابتسامة ليست موجهة له، فهي ابتسامة رائعة جداً وغير متوقعة. جاهد زاين كي يقاوم الاحساس القوي الذي اجتاحه، والذي يدعوه ليشدها إليه ويعانقها.

سألها: «علامَ تشكرينني؟».

بدت الصدمة واضحة في نبرة صوته لأنه نسي بالفعل عما كانا يتحدثان، فهو يفكر بما حدث بينهما في صالة العرض في الشركة، عندما استسلم لإغوائها وعانقها. يومها شعر بالاشمئزاز من نفسه لأنه ضعف أمامها وسمح لذلك العناق أن يؤثر به، لكنه يشعر منذ ذلك الوقت بالأسف لأن الأمور لم تتطور أكثر بينهما.

أجابت روبي: «شكراً لك، لأنك أخيراً اعترفت لوالدك بالفضل على القيام بشيء ما».

لم يشأ زاين أن يفكر بوالده في الوقت الراهن أو برأيه به، لا سيما أن يدها مرتاحة على ذراعه وخصل شعرها تشكل هالة من النور حول وجهها، وهو يشعر بمثل هذا الشوق نحوها. لكن إن لم يفكر في والده، فلا بد أنه سيضعف ويتصرف بحماقة معها. شعر بألم قوي في أعماقه

بسبب توقه إلى شيء لن يتمكن من الحصول عليه...

ترك يدها تسقط عن ذراعه وهو يمرر أصابعه في شعره. روبي لن تكون مطلقاً له، لأنه لن يرضى بأن يأخذ ما تركه والده. كيف سيتمكن من البقاء في بروومي مع هذا الاحساس القوي من التوق إليها، وهو يشعر بهذه الأحاسيس تزداد في كل مرة تكون فيها قريبة منه؟ مع ذلك هو يعلم أنه لن يحصل عليها أبداً. لا يمكنه أن يعيش بهذه الطريقة، لذلك ليس هناك سوى حل واحد: عليه أن يعمل على التخلص منها مهما كلفه الأمر.

* * *

قاد زاين سيارته نحو الفندق الذي تنزل فيه روبي، وهو لا يزال ينسج مكيدته الخاصة. ما إن وصل إلى اليابسة حتى وجد رسالة من إنيليزا بانتظاره، على الرغم من أنه طلب منها ألا تتصل به إلى هنا. عليه أن يقوم بشيء ما بشأنها. يكفيه أنها ظهرت في منزله في لندن من دون دعوة منه، مستخدمة مفتاحاً أقدمت على استنساخه بنفسها، فكيف بها وهي تلاحقه إلى هنا.

بدا زاين ضائعاً في أفكاره، وبالكاد لاحظ حلول الظلام. في البداية عليه أن يتعامل مع روبي. سيذهب لرؤية المحامي في أول فرصة ممكنة. على ديريك فينلاسون أن يفهم أن هذا الاتفاق لن ينجح. لا يهم ما الذي يعتقده بشأن إرادة لورانس، فهما لا يستطيعان إدارة الشركة معاً والأمور بينهما على ما هي عليه. فكر أنه إذا رفع سعر أسهمها، فربما يتمكن من جعل فينلاسون يتحدث إلى روبي ويقنعها بالقبول بالعرض الجديد.

ارتجفت روبي وهي جالسة قربه.

- أتشعرين بالبرد؟

تحرك زاين بصورة تلقائية ليعدل مكيف الهواء في السيارة. كانت تلك الكلمات الوحيدة التي تفوه بها منذ أن دخلا السيارة. فبعد قضاء عدة أسابيع في لندن شعر أن الهواء في فترة بعد الظهر حار بالنسبة إليه،

لكنه يعلم أن الأمر مختلف بالنسبة للسكان المحليين. أجابت روبي: «لا! ليس في الواقع، لكن أعتقد أنني لم أدرك كم أنا متعبة. اليوم هو تغيير جيد، فمن الرائع الابتعاد عن المكتب أحياناً».

راوده إحساس بالذنب غير مرحب به. لقد تركها تتولى إدارة أمور الشركة بمفردها، بينما قام هو بالاهتمام بعمله في لندن. في الواقع، كان بانتظار فشلها، بل هو تمنى لها الفشل، لكنها تولت القيام بعملها العادي في التصميم بالإضافة إلى إدارة الشركة التي عمل لورانس على تقسيمها بينهما. لكن على الرغم من كل شيء فكر به، فهي لم تفشل. على العكس من ذلك فإن الرسائل الإلكترونية التي كانت ترسلها له أثناء غيابه بدت محددة وواضحة، ولم يكن هناك من داعٍ ليتدخل بأي أمر، ولا حاجة له ليسأل عن أي شيء تتعهد به. فالمصائب التي توقعها لم تحدث أبداً.

نظر نظرة خاطفة إليها، وهو ينتظر كي ينعطف عبر الطريق العام. لا شك أن الارهاق سيطر عليها، فهي قد ألقت رأسها إلى الوراء، وأغمضت عينيها. بإمكانه أن يرى ظلالاً تحت عينيها بفضل ما تبقى من أشعة الشمس المشرفة على الغياب. مع ذلك ما زالت جاذبيتها على حالها؛ حجم عينيها، خداها، فمها المكتنز، كما أن هناك جسدها الرائع...

فتحت روبي عينيها ورأته يحدق بها. اتسعت عيناها على الفور، لكنها لم تنظر إلى البعيد. بدلاً من القيام بذلك مالت برأسها قليلاً إلى الأمام، وسألته:

- لماذا تكره والدك كثيراً؟.

أعاد زاين انتباهه إلى الطريق من جديد، وقام بالانعطاف عندما تسنى له ذلك.

- من قال إنني أكرهه؟

- كل ما تقوله أو تفعله تقريباً، وحقيقة أنك غادرت ولم تحاول حتى

الاتصال به طيلة تسع سنوات. اليوم هي المرة الأولى التي سمعتك فيها تقول كلاماً محترماً عنه، لكن عندما ذكرتُ ذلك انكمشت على نفسك ولم تتكلم قط، وكأنك خنت قسماً قطعته على نفسك بألا تقول كلمة لطيفة عنه أبداً.

- أنا فقط أتذكر الأمور كما أراها بالضبط.

- ما الذي حدث في السنوات الماضية فدفعك إلى الرحيل كما فعلت؟ ما الذي حدث؟

فكر زاين بصمت: «حدث ما لم أستطع تحمل رؤيته!».

- لدي أسبابي الخاصة.

بقيت روبي صامتة للحظات قليلة، ثم قالت: «هل لوفاة أمك علاقة بالأمر؟».

أدار زاين رأسه بسرعة، وسألها بخشونة: «ما الذي جعلك تفكرين بذلك؟».

- لا أعلم. لكنك غادرت فوراً بعد وفاتها.

- أمي لم تمت، بل قتلت.

بقيت كلماته معلقة في الهواء لفترة، ما جعل الجو بينهما مثقلاً بالصمت، لكنها لم تجد ما قاله منطقياً.

- ذكر لي لورانس حادث سير مروع.

- وهل أخبرك من كان يقود السيارة؟

بجهد ويأس حاولت روبي أن تتذكر القصة التي أخبرها بها لورانس في إحدى الأمسيات بعد إصابته بأزمة قلبية طفيفة، يوم شعر بقرب وفاته.

- لست متأكدة، لكنني أعلم أنه لم يكن سائق السيارة، إن كان هذا ما تظنه.

ضحك زاين بمرارة وهو يوقف السيارة في المرآب قبالة الفندق الذي يطل على شاطئ كايبل، حيث تبدو الشمس كقرص أرجواني يغطس في سماء تشع بآلاف الظلال الذهبية المختلفة.

- أنت سريعة جداً في الدفاع عن والدي! لا، لم يكن هو السائق. لكن هل أخبرك شيئاً عن المرأة التي كانت تقود السيارة... المرأة التي اصطدمت بالجسر الذي سبب انقلاب السيارة وتحطمها، الأمر الذي أدى إلى وفاة والدتي؟

فكرت روبي قليلاً، لكنها لم تستطع أن تتذكر أي حديث عن تلك المرأة، لذا قالت: «لا. لا أعتقد. لِمَ لا تخبرني أنت؟».

أطلق زاين زفرة قوية من صدر ضيق.

- بوني كارتر، صديقة أمي المفضلة منذ أيام الدراسة، ووصيفتها في عرسها وعرابتي. فهي كانت كفرد من العائلة.

اعترفت روبي، وهي تهز برأسها: «لا أرى ما أهمية ذلك».

- أحقاً؟ ولا أنا... حتى يوم الحادث.

تابع يقول بنبرة خالية من الحياة: «بعد ذلك كل شيء أصبح واضحاً. بوني كانت جميلة جداً. آه! كنت دائماً أفكر أن أمي جميلة أيضاً، لكن بطريقة مختلفة. أمي كانت معتدلة القامة ذات ابتسامة تجعل كل شيء دونها لا قيمة له، في حين أن بوني كانت تستطيع أن تعمل عارضة أزياء، فهي طويلة، رشيقة، وذات وجه يدير الرؤوس أينما كانت».

نظر إليها عن قصد قبل أن يكمل: «كانت تشبهك كثيراً. ولم يحدث أنني فكرت مرة حينها لماذا لم تتزوج».

استدار بجسده كله نحوها. حدق إليها بنظرات قوية مليئة بالألم، ما جعلها تجفل ولا تفكر في مواساته.

- الصديقة المثالية والعرابة الكريمة المحبة كانت تخدع أمي طوال تلك السنين. طوال ذلك الوقت كانت عشيقة والدي، وكان يدفع لها المال لتبقى قربه.

فتح زاين باب السيارة، وخرج منها. فجأة شعر بالحاجة إلى مكان أوسع وإلى المزيد من الهواء. سار على ممر في الباحة باتجاه السياج الخشبي الذي يحدد المسافة الموصلة إلى الشاطئ. تنشق بقوة الهواء

المنعش للمحيط الهندي، محاولاً أن يملأ الفراغ الذي يشعر به في أعماقه، ويتغلب على الذكريات المريرة القادمة من الماضي. في تلك اللحظة غابت الشمس بصمت في الأفق. سمع من ورائه إغلاق باب السيارة. لم يستدر بل استمر في التحديق مراقباً كيف تضيع الشمس الحارقة شيئاً فشيئاً خلف المحيط، حتى أصبح الضوء مجرد خيط رفيع ثم تلاشى.

سمع روبي تقول: «زاين، آسفة لذلك».

أجاب: «تلك ليست غلطتك».

تجاهلت المرارة في كلماته، وعلقت: «لا يمكنني أن أصدق ما تقوله. لا أصدق أن لورانس يفعل ذلك مع أمك. كان رجلاً نزيهاً وصاحب مبادئ عالية، وكان يحب ماري. أعلم أنه كان يحبها. يجب أن تتذكر ذلك».

استدار متوقفاً عن مراقبة البحر والغروب، لينظر إلى وجهها ويقول: «إذاً لماذا أقام علاقة مع بوني؟ نشأت وأنا أسمعه يمتدح الأخلاق الجيدة والصدق والنزاهة، وكان يضع العائلة في المقام الأول في حياته، لكن عندما نبحث عن حقيقة الأمر، فهو مجرد رجل، ورجل ضعيف كما تبين لي. اعترف لورانس بذلك بنفسه».

- ماذا؟ متى؟

- بعد الحادث مباشرة. أصيب والدي بالجنون، وانفطر قلبه حزناً. اكتشفت أنه يعمل على تنظيم جنازة مزدوجة لهما، وأنه صمم على دفنهما معاً في مدفن العائلة. كنت أعلم أن المرأتين صديقتان مقربتان جداً، لكن هذا جنون. عندما تحديته، وطلبت معرفة السبب، كانت لديه الشجاعة ليقول لي إن بوني أعطته ما لم تستطع أمي إعطاءه إياه أبداً.

- لا أستطيع التصديق أنه خان والدتك بهذه الطريقة.

حتى في الظلام لمعت عينا زاين بشدة من الغضب والكره وهو يقول: «لماذا؟ هل اعتقدت أنك الوحيدة التي نالت استحسانه؟ هل اعتقدت

أنك مميزة لديه؟».

استدار ليحدق من جديد في البحر، وضع يده على مؤخرة عنقه، ورفع رأسه عالياً وهو يتابع: «عندما توسلت إليه أن ينكر أنه أقام علاقة مع بوني، لم يفعل. لم يستطع، لأنه أبقى بوني عشيقة دائمة يدفع لها الأموال باستمرار، وهكذا أقدم على خيانة أمي. بسبب ذلك غادرت برووي في اللحظة التي أصبحت فيها أمي تحت التراب، ولم يحاول قط أن يمنعني».

ما زال زاين يستطيع سماع صوت والده يرن في أذنيه: «لن تتمكن مطلقاً من النجاح بمفردك، وستعود إلي زاحفاً على يديك وركبتيك».

لكنه لم يعد زاحفاً إليه. أثبت للرجل العجوز أنه يستطيع أن يحقق النجاح بعيداً عنه، بل يمكنه أن ينجح أكثر منه. لماذا إذاً يشعر بمثل هذا الفراغ؟ أليس للنصر مذاق عذب حلو؟ لكنه وصل إلى بلاده متأخراً جداً، ليحقق السلام مع والده. فات الأوان ليسمعه معترفاً بمدى خطئه، ومتأخراً جداً ليمنعه من الحصول على عشيقة أخرى، وهي هذه المرة عشيقة يريدها لنفسه...

اختفى النور كلياً، وحلت مكانه ظلمة سوداء وبعض الظلال من الأضواء البعيدة. ضمت روبي ذراعيها إلى صدرها. لا يمكنها أن تصدق أنه يقول الحقيقة، فلورانس الذي تعرفه لم يكن كذلك أبداً. مع ذلك لا بد أن شيئاً ما حدث. شعرت برجفة تعتري عمودها الفقري. أيمكن أن يكون هذا هو المفتاح للكلمات الأخيرة من لورانس إلى ابنه؟

بدأت بالقول وهي تفكر بصوت عالٍ: «ربما... ربما لهذا السبب...».

توقفت عن الكلام، لكن زاين استدار نحوها وسألها: «لهذا السبب... ماذا؟».

رمشت بعينيها مترددة، فهي لم تخبره أبداً. لم تجد أي وقت مناسب لتفعل ذلك، لكن ربما الآن هو الوقت المناسب. قالت بهدوء: «ربما

لهذا السبب أراد والدك الاعتذار».

سألها وهو يقترب أكثر منها: «ما الذي تتحدثين عنه؟ متى حصل ذلك؟».

- تماماً قبل موته. كنت أمسك بيده فقال لي: «قولي لزاين إنني آسف».

قال بنبرة ملؤها الاتهام: «تلك كانت كلمات الوداع منه، وهي موجهة لي، ولم تفكري في إبلاغها لي!».

همست روبي: «أنا آسفة حقاً».

- أهذا كل ما قاله، ألم يقل أي شيء آخر؟

نظرت إلى البعيد نحو البحر، نحو أي مكان كي لا تقابل تينك العينين اللتين تحدقان بها وتتهمانها، والألم فيهما واضح جداً. حسناً! لن تخبره أنه قال «اعتني بزاين»، فهو ليس بحاجة ليسمع ذلك، وهو لا يريد أن يسمعه.

- لم يكن هناك وقت لقول المزيد. بدأت الآلات بالرنين، ودخل الأطباء من كل مكان. هذه كانت آخر كلمات قالها، ولم أجد لها أي معنى بالفعل...

نظرت إليه من جديد، وتحولت نبرة صوتها إلى الاتهام وهي تتابع: «... فأنت من غادر برووي، وأنت من ابتعد وتخلى عن والده. لماذا عليه أن يعتذر منك؟».

تنفس زاين بسرعة وبغضب صارخ، شاعراً أن صدره بحاجة إلى مزيد من الأوكسجين.

- ألهذا اخترت ألا تخبريني؟

أرادت أن تخبره أنه كرهها منذ أن وقع نظره عليها، وتفاقم الأمر عندما علم أن والده ترك لها نصف ثروته، أرادت أن تعترض لأنهما لم يحظيا بفرصة للتحدث من القلب إلى القلب. أرادت أن تصرخ به قائلة إن ما قامت به هو رد دين له لاعتقاده أنها عشيقة لورانس. لكنها أدركت في

أعماق قلبها أن ما فعلته ليس له أي تبرير منطقي. هي قررت أنه لا يستحق اعتذار لورانس، ولم تقم بأية محاولة لتخبره. احتفظت بالكلمات لنفسها، لأنها لم تفهم ما الذي تعنيه له. كما أنها أقدمت على خذل لورانس أيضاً بعملها هذا. قالت بدلاً من ذلك: «أنا آسفة، زاين. كان علي إخبارك».

أجبر نفسه على التلفظ بالكلمات من بين أسنانه: «سأتحدث إلى المحامي في أول فرصة ممكنة. سأعمل على وضع تقرير جديد، لكن أريدك بعيداً عن الشركة وبعيداً عن بروومي كلها».

- لكن العرض...

- هذه هي مجموعتك الغالية! ستبقين في الشركة حتى نهاية عرض المجموعة هنا وفي أوروبا أيضاً، حيث ستتمكنين من بيع المجموعة بطريقة أفضل، لكن بعد ذلك أريدك بعيداً من هنا. سأجعل رحيلك مفيداً لك أكثر من البقاء.

رفعت روبي ذقنها وهي تعلق بصوت مضطرب: «قلت لك من قبل إنني لا أريد أي مال منك».

سار بغضب صارخ نحو السيارة. فتح الباب بعنف، ثم نظر إليها وقد تغلف وجهه بقناع من المرارة.

- إن كان هناك أمر واحد تعلمته أثناء عملي فهو أن لكل شخص ثمنه الخاص، لا سيما الغانيات!

ترددت الكلمات في ذهنها، مسببة جرحاً وصل حتى أعماق قلبها، بينما صعد زاين إلى سيارته.

في الواقع يحق له أن يغضب منها. لقد فشلت في إتمام واجبها، وخذلت لورانس لأنها لم تحقق أمنياته عند وفاته. لم تنقل اعتذاره لزاين، وهي لم تقترب حتى من الاعتناء به. طلبان بسيطان، وهي أفسدتهما معاً. كيف تأمل إذاً بتحقيق توقعات لورانس منها في العمل؟ وكيف ستتمكن من العمل مع ابنه من جديد؟

همست ما إن اختفت أضواء سيارته وراء المنعطف: «أنت الفائز زاين، فأنا راحلة».

* * *

بدا لروبي كأنها قفزت من فصل الأمطار إلى فصل الجفاف. ذهبت إلى المكتب عند الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي، وما إن أرسلت رسالة في البريد الإلكتروني لزاين تؤكد له فيها موافقتها على الرحيل بعد الانتهاء من ارتباطاتها بالعرض واحتفالات مجموعة الشغف، حتى شعرت كأن الغيوم السوداء رحلت والرطوبة الكثيفة تبخرت. قريباً لن يكون هناك أي عواطف، وقريباً جداً سيصبح الهواء منعشاً ونقياً. شعرت بإحساس غير مألوف لديها بالتفاؤل وهي تتوجه نحو غرفة العمل لتمضي الصباح هناك، وتعاين للمرة الأخيرة قطع المجموعة.

رحيلها أصبح قيد الانجاز. لكن قبل ذلك هناك لقاء مع المحامين لترتيب الأمور القانونية لرحيلها، وهذا أمر سيتم بعد ساعات قليلة من الآن. لا بد أن زاين سيعمد إلى الضغط عليها لترحل بإعطائها حصة أكبر من المال، لذا أمضت طوال الليل وهي تفكر ما الذي ستفعله بشأن ذلك. هي لا تريد المال لنفسها، لكن من الأفضل أن تضعه في المكان المناسب ومع من يحتاجه. قررت أن القسم الأكبر منه سيعود لمصلحة الموظفين. ما دامت قد تخلت عنهم فهي ستحرص على أن يتم الاعتناء بهم، ربما ليس بالطريقة التي أرادها لورانس، لكن بطريقة تجعلهم لا يقعون تحت رحمة زاين. ستطلب من المحامي أن يتم توزيع ربح الأسهم التي تعود إليها على الموظفين. وهكذا، مهما فعل زاين ومهما قرر بشأن الأسهم العشرة التي تعود إليهم، فهم على الأقل سيحظون بدخل دائم لهم في المستقبل. أما بقية المال، أي العشرين بالمئة الإضافية التي قدمها لها ثمناً لأسهم، فستضعها في المؤسسة التي أنشأتها شقيقتها أوبال في سدني، وهي مؤسسة تقدم الدعم للنساء الضعيفات اللواتي يتعرضن للعنف، إن تمكنت من تحقيق هذين الأمرين من دون أي خداع

للموظفين، فلن يكون رحيلها سيئاً، ولن تسبب الحزن للورانس في قبره.

- يسعدني أنك اتخذت القرار الصائب.

رفعت روبي رأسها بسرعة لتجد زاين واقفاً أمامها. ابتلعت روبي غصة بسرعة لتخفف من تسارع دقات قلبها، ورفعت جسدها عالياً على كرسيها، فهو ليس الوحيد الرابح في هذه العملية.

- إذاً، وصلك البريد الإلكتروني.

اقترب منها أكثر، ولم يجبها. شعرت روبي كأن الهواء يختفي من الغرفة، والحرارة ترتفع فجأة.

سألها وهو ينظر إلى القطعة الموجودة بين يديها: «ما هذه؟».

بلا وعي منها ضغطت بأصابعها على القلادة كأنها تحاول حمايتها. تساءلت، هل سيرى ما تراه في داخلها؟ لكن بعد لحظات فتحت يديها، عارضة القطعة الرئيسية في المجموعة أمام نظرته الثاقبة، وقالت: «هذه قلادة الشغف. لقد اكتملت».

قطب زاين جبينه، غير مصدق ما يراه. ضاقت نظرته وهو يتعرف على القطعة.

- أهذه هي القلادة التي صممتها لأجل العرض؟ تلك التي رأيتها على الورق؟

هزت برأسها وهو يمسك بالقلادة. شعرت بحرارة يده تلامس بشرتها كالنار. رفعها تحت الضوء، وحركها ببطء بين أصابعه، ملاحظاً تلاعب الضوء والظل على وجه الأحجار الكريمة، ورأى بوضوح الصورة التي تظهرها: عناق الحبيبين.

شعر زاين بوخز في جلده ما إن تراءت له حقيقة الصورة، الوهج الرائع لحبات اللؤلؤ، وروعة الأطراف الذهبية الطويلة. إنها مليئة بالعاطفة والشغف. تحول الاعجاب إلى اشمئزاز ما إن بدت الحقيقة أمامه. هذه المجموعة كلها مهداة إلى لورانس الذي كان ملهم روبي. دفع بالقطعة إلى يديها، وسار مسرعاً نحو الباب. لا بد أن المجموعة

ستنجح. لم يعد لديه أي شك الآن، لا سيما إن تمكنت روبي من بث ذلك الاحساس من الحب والعاطفة عبر المجموعة كلها. لكنها على الأقل سترحل، ولن يكون عليه التعامل مع هذا الاحساس المزعج الدائم لعدم إمكانية الحصول عليها مطلقاً.

- زاين!

استدار لدى سماعه صوتها قائلاً: «ما الأمر؟».

قطبت جبينها وأجابت: «المحامي... متى سنراه؟».

تذكر بغضب لماذا أتى إلى هنا باحثاً عنها.

- غادر فينلاسون البلاد. وأنا لا أريد التعامل مع مساعديه في هذا الأمر.

- حتى متى سننتظر؟

بدت روبي قلقة. لا شك أنها يائسة لشدة رغبتها بالرحيل. أتراها تفكر بالمال في النهاية، وبكل الأشياء التي تستطيع القيام بها بعد أن تصبح ثرية؟

- سيعود في غضون شهر واحد. عينت لنا موعداً معه في اليوم الأول لوصوله إلى برووميي، وذلك بعد يوم واحد من عرض المجموعة.

بعدئذٍ، بطريقة ما أصبح العمل مع زاين أكثر سهولة. انشغلت روبي كلياً بعملها وبوضع الخطط لنقل المجموعة بعد ذلك إلى سيدني، ثم إلى نيويورك ولندن. قرر زاين أنه لن يرافقها في رحلاتها، غير أنه قرر أن يحضر عرض سيدني. شعرت بالغبطة لأنها قادرة على تركيز قدراتها كلها على تصميم أعمالها من جديد، تاركة زاين يهتم بمفرده بالأمور الإدارية. لكن هذا لا يعني أنها لم تبقِ عيناً مراقبة على كل ما يفعله. فهي ما زالت شريكة في الإدارة، ولن تسمح له أن يقود الشركة إلى الإفلاس. لكن مع مرور الأسابيع علمت أن عليها الاعتراف ببراعته في العمل، وهكذا أصبحت خلافاتهما أقل، وأكثر تباعداً. الاستعداد لعرض المجموعة احتاج إلى أيام وأسابيع وإلى عمل لا ينقطع. انشغلت روبي خلالها

بالعمل على التفاصيل، والتأكد لأكثر من مرة من كل شيء لتجعل الأمسية تمر كما تم التخطيط لها تماماً. ما إن بدأ العد العكسي للأيام حتى أصبحت تتطلع بقلق إلى توقعات الطقس أثناء الليل. الوقت محدد بالدقائق، حيث سيتم عرض أجمل القطع في المجموعة، ثم ينتهي الاحتفال قبل خمس دقائق من صعود القمر المتكامل وظهور الدرج الشهير لأسطورة القمر.

هذا هو الأمر الوحيد الذي لا تستطيع السيطرة عليه، وهي تعلم أن هناك الكثير من المخاطرة في ذلك. إذا سارت الأمور كلها كما تشتهي، فسيبدو البدر كأنه حبة لؤلؤ عملاقة فوق خليج رويباك، وسيسطع نوره على الأمواج. يلي ذلك ظهور الدرج الذي سيرتفع من الأرض إلى القمر. مرور الغيوم سيشوه الوهم، أما ليلة بسماء صافية فستتوج نجاح الأمسية.

* * *

قبل عشر دقائق من وصول الضيوف بدا كأن كل شيء في موضعه. وقفت روبي في قاعة الاحتفال في فندق الدرج، تنظر إلى الخارج عبر النوافذ الكبيرة الرائعة، محدقة في السماء كأنها تبحث عن أي أثر لغيمة فيها، وتحاول بشدة أن تحافظ على هدوء أعصابها. لم تعمل يوماً على مجموعة بمثل هذا الجمال. لكن هل سيراها المشاهدون كما تراها هي؟ هناك الكثير من الأمور على المحك الليلة.

من ورائها عمل فريق العمل على وضع اللمسات الأخيرة.

- يبدو أنك محظوظة جداً.

ظهر زاين فجأة بقربها. بدت نبرة صوته عميقة لكن لا تخلو من التوتر وهو يقول: «تهاني القلبية. عملت كثيراً على إنجاح هذا العرض، كما أنك تمكنت من جعل الطقس يتعاون معك».

نظرت روبي من جديد إلى الخليج. سمحت لنفسها بالابتسام كإجابة عما قاله، بينما كل ما تريده بالفعل الآن هو أن تتذكر كيف تتنفس. زاين

يجاملها! صحيح أنهما في الأسابيع القليلة الماضية ومنذ أن قررت الرحيل، التزما بما يشبه معاهدة غير مكتوبة بينهما، لكن ذلك لم يتعدَ الموافقة على الميزانيات المطلوبة أو وسائل الإعلان.

نظرت إليه نظرة خاطفة، ولم تتفاجأ عندما رأت أنه لا يزال يراقبها، ويؤكد لها ما تشعر به في أعماقها.

- أعتقد أنني بحاجة إلى بعض الهدوء.

إلا أنها تعرف أن ليس هناك مجال لذلك ما دام هذا التوتر يلفها.

لم تفارق عيناه وجهها، وهو يقول: «ستشعرين بالراحة ما إن يبدأ العرض».

اعترفت قائلة: «أعتقد أنني متوترة جداً لدرجة أنني لا أعرف معنى كلمة هدوء».

- لا داعي لذلك. لا أدري كيف فعلت ذلك، لكن من الضجيج حولنا أعتقد أن العرض سيلاقي نجاحاً منقطع النظير.

لو أن الأمر يتعلق بالعرض فقط... أبعدت روبي عينيها عنه وحدقت بالبساتين والسهول في الخارج، طرأ تبدل كبير على علاقتها بزاين خلال الأسابيع الماضية، فقد عملا معاً كأنهما فريق حقيقي. أعطاها زاين حق إدارة أعمال العرض، فيما حمل عنها هموم الشركة بأكملها، وبدت هي سعيدة جداً لتسلمه تلك المهام. أما الليلة فهو أكثر اختلافاً، والجو المحيط به أكثر غموضاً، وهذا يزيد من توترها، ويترك لديها أحاسيس لا يحق لها أن تشعر بها. فمن السهل عليها التعامل معه وهو يكرهها، أما الآن...

شعر زاين بالتوتر المسيطر عليها. بإمكانه أن يراه من خلال تصلب كتفيها. غداً سيذهبان لرؤية ديريك فينلاسون وينهيا معاملات رحيلها، ولا شك أنها حينها ستتخلص من توترها. تملكته الرغبة في أن يمد يده ليمسد كتفيها، ليمسد عضلاتها المضطربة، تلك الرغبة التي سيطرت عليه بقوة. سترحل روبي قريباً، سترحل بعيداً عن برووي ومن حياته، فما

الذي سيحدث إن لمسها؟ مجرد لمسة واحدة على بشرتها العسلية.

ضغط على يده بقوة، وحولها إلى قبضة حديدية. يجب ألا يفعل ذلك. يجب ألا يلمسها. إن وضع يده على بشرتها سيجد من الصعب عليه مقاومة رغبته بمعانقتها. إنها ترتدي ثوباً من اللونين الفضي والزهري يضم جسدها برقة. كل حركة تقوم بها تعطي بعداً إضافياً للأصداف المعلقة على القماش الناعم، أما شعرها فمعقود عند مؤخرة عنقها لتنسدل منه ضفيرة، ويلتف حبل من اللؤلؤ علقت به قلادة صغيرة من مجموعة الشغف.

رمشت روبي بعينيها، فيما تورد وجهها بسبب تحديقه الواضح بها. لم يستطع إلا أن يقول لها: «أنت تبدين جميلة، وكأنك كنز من كنوز البحر».

بقيت عيناها مسمرتين على عينيه لفترة كافية له ليعترف بالباقي من خلال عينيه فقط: . . . وأنا أرغب بمعانقتك.

تردد صدى الكلمات غير الملفوظة بينهما، ما جعل الهواء مثقلاً بالمشاعر بينهما قبل أن تخطف انتباهها الأصوات المتزايدة حولهما. قالت روبي مخطوفة الأنفاس: «حان وقت العرض».

لم يمر وقت طويل حتى امتلأ المكان بالضيوف، فبدأ الاحتفال الرسمي للسهرة بإلقاء الكلمات. ألقى زاين كلمة مختصرة عن والده، وقدم روبي للحضور. فاجأها بالقول إنها العبقرية الحقيقية التي عملت على انتاج هذه المجموعة، ثم جاء دور روبي. صعدت إلى المنصة وتحدثت عن الجمال الساحر للؤلؤ. في ما مضى اعتبر اللؤلؤ هدايا من الآلهة، أو حتى دموع القمر، ولهذا لم تجد توقيتاً أفضل من الليلة، حيث يكتمل القمر ويصبح بدراً، لتحتفل بمجموعة الشغف. قاومت بشدة الدموع التي تلألأت في عينيها وهي تهدي المجموعة إلى ذكرى لورانس باستياني. عرّفت عنه بقولها إنه رجل طارد حلماً، وجعل ذلك الحلم حقيقة، حيث يستطيع كل شخص التمتع بمشاهدة أجمل حبات اللؤلؤ في

العالم كله. بعد ذلك حان الوقت لعرض المجموعة. بدأت العارضات بالسير على الممر الضيق للعرض. بدون فاتنات الجمال بثيابهن البالغة الأناقة، وكأنهن خلقن لشد الانتباه بقوة. لكن الحضور أتى لرؤية اللآلئ وهي ما حظي بانتباه الجميع، بسبب روعة تصاميمها؛ عقود من اللؤلؤ والأحجار الكريمة. حبال طويلة من لؤلؤ ذهبي اللون. أساور مصنوعة من الذهب ومرصعة باللؤلؤ من خلال تصاميم مثيرة مزخرفة. أقراط أنيقة لكنها ساحرة في الوقت نفسه. تقبل الحاضرون كل قطعة بحماس زائد لينفجر التهليل والتصفيق مع القطعة الأخيرة، عندما عرضت قلادة الشغف النادرة.

هذا كثير جداً! انهمرت دموع روبي. . . دموع الفرح والنجاح. ضغط شخص ما على يدها، وقال: «تهاني الحارة».

رفع زاين يدها إلى فمه وطبع قبلة على راحة يدها.

- والآن اصعدي إلى المسرح، وانحني للحضور.

بطريقة ما تمكنت من صعود الدرجات القليلة لتتقبل الترحيب الحماسي من الجمهور. سطعت أنوار آلات التصوير وهي تلتقط لها الصور أثناء معانقة العارضات لها. أوقف العزف على آلات موسيقية قديمة ذلك الحماس، معلناً أن القمر سيطل قريباً. فتحت الأبواب التي تصل من قاعة الاحتفال إلى شرفة واسعة تمتد تحت النجوم، فأسرع الحاضرون إلى الخروج إلى الظلمة الداكنة، وبقيت أحاديثهم مليئة بالاعجاب والرهبة من المجموعة وهم يحدقون بالأفق.

قدم زاين لها كوباً من العصير الطازج، ودفعها لتسير معه إلى المنصة المعدة لهما.

صمت الحشد فجأة، وكأن كل شخص يحبس أنفاسه متوقعاً شيئاً ما، أما الموسيقى التي لا تنتمي إلى عصر معين فأضفت سحراً على الأجواء، بحيث أصبح الجميع مبهورين كأنهم يصلون للقمر كي يظهر. بعد قليل، ومن وراء التلال المنخفضة ظهر ضوء زهري صغير. شهق الحشد

جميعهم بينما بقيت العيون مركزة على نقطة واحدة. بدأ القمر يطل ببطء، مضيئاً جميلاً ومكتملاً. بالتدريج زحف فوق الأفق كأنه حبة لؤلؤ ضخمة. بدا نوره ساطعاً يضيء الأمواج، كأنه موجة من نور ذهبي تظهر على الأرض. في هذه الأثناء ظهر الدرج شيئاً فشيئاً إلى أن اكتمل ظهوره. ارتفع أمام الجميع بحيوية وقوة ليصل من الأرض حتى القمر.

لاشك أن زاين شاهد هذا العمل المميز في فترة المراهقة مرات عدة، لدرجة أنه أصبح لديه مشهداً عادياً. أما الان، وهو يراقب ملامح وجه روبي تمتلئ بالدهشة والاعجاب، مع نغمات موسيقى تؤكد عظمة الحدث، شعر كأنه يراه للمرة الأولى. وكأنه فهم فجأة سحر هذا العمل؛ هذا قمر وجد للمحبين فقط.

في تلك اللحظة أدرك زاين أن لا خيار آخر أمامه، إنه يتوق إليها وسوف يعانقها. بالرغم من كل ما يؤمن به، وبالرغم من الفشل الذي كان متأكداً منه لهذه المجموعة، تمكنت روبي من الإمساك بروعة الخيال في تصاميمها، وتمكنت من الإمساك بجمال القمر وبكل ما تعطيه الطبيعة من روعة متمثلة في حبات اللؤلؤ. هو يريد أن يضمها إليه مع كل ما حظيت به، وأن يلفها باللؤلؤ ويرى دِفاه على بشرتها، ويشعر بهما معاً...

قالت روبي وهي تميل نحوه بنبرة بالكاد تسمع: «كم هذا جميل!».

وافق زاين بنعومة، وهو يهمس في أذنها: «أنت من هي جميلة حقاً».

أضاف عطرها أبعاداً جديدة إلى كل الصور أمامه، فزاد الشوق في أعماقه إلى درجة اليأس. شعر بإحساسه ينتقل إليها، فلم تبتعد عنه. لف بذراعه كتفيها، وبعد لحظات من التردد شعر بها ترتاح. بدت بشرتها دافئة ناعمة، أما التوتر الذي كانت تشعر به قبل العرض فحل مكانه فرح ونشوة زادتا من شوقه إليها. ارتفع القمر أكثر في السماء وابتعد عن الدرج، وهكذا وببطء اختفى ذلك الحلم الرائع. أصبح الدرج مجرد ذكرى ذهبية، وبدأ الناس يتحدثون ويتحركون، ثم انتقلوا إلى طاولة ملأى بأشهى المقبلات وضعت أثناء مشاهدتهم لمسرحية القمر الرائعة.

تحركت روبي داخل طية ذراعه، فعلم أن عليه أن يتركها. فهناك صور بانتظارها، ومقابلات مع الصحافة، وعالم من الناس والزبائن عليها أن تؤثر بهم، أما هو فعليه أن يساعدها بذلك. لكن قبل أن يبتعد عنها، مال نحوها، وهمس في أذنها: «لا بد أن نلتقي في ما بعد».

في وقت متأخر من الأمسية، بدأ الضيوف بالمغادرة، كذلك غادر الصحفيون والمصورون. لم تشعر روبي يوماً أنها مليئة بالحيوية كما شعرت في تلك الأمسية، فالدماء تجري في عروقها كأنها تزغرد احتفالاً بالنجاح، ولا شيء قادر على مسح تلك الابتسامة التي تضيء وجهها الليلة. استدارت لتودع آخر ضيف في القاعة، فإذا هو زاين. أمسك بيدها في راحة يده، فقالت وهي تشعر كأنها تتوهج من شدة الفرح: «زاين! ألم تكن الحفلة رائعة؟ المجموعة غاية في الروعة والنجاح».

قال موافقاً: «إنها فوز ساحق، وأنت نجمة المجموعة كلها».

شدها إليه لتتمكن من رفع نظرها إليه. أصبح قريباً بما يكفي لتنشق عطره بكل حواسها.

كلماته أضافت سحراً إضافياً على أمسيتها. هي تعرف أنها قامت بعمل جيد، لكن أن يعترف زاين بذلك...

- كما أنني أرغب في أن أضيف تهاني القلبية على نجاحك الليلة.

همست تجيبه: «شكراً لك».

لم تعد قادرة على إبعاد عينيها عنه. راقبت وجهه كما لو أنها منومة مغنطيسياً، وهي تشعر بإحساس رائع أذاب كل مقاومة لديها. همس زاين بنبرة حازمة، ويداه ما زالتا تمسكان بها بقوة: «تأخر الوقت، ومن الجنون أن نقود السيارة، فيما لدينا جناحان محجوزان لنا هنا».

هي أيضاً لا تريد المغادرة ولا القيادة أيضاً، فهي سعيدة بنجاحها، سعيدة بكلامه، وسعيدة بالاحساس الذي سيطر عليها طوال السهرة. فطوال الامسية وجدت نفسها تكرر الكلمات التي قالها لها مراراً وتكراراً، تتذوقها وتتأمل بها. «أنت جميلة، وكأنك كنز من كنوز

البحر». شعرت أنها كذلك، تماماً كما يراها، وذلك قبل أن يمسك يدها ويضغط عليها ثم يطبع قبلة عليها. في تلك اللحظة شعرت كأنها في حلم. رفعت نظرها إليه، وهي لا تزال غارقة في روعة ما حققته، مترددة في إنهاء تلك السهرة التي مضت كأجمل ما يمكن وصفه، حيث كان زاين جزءاً من ذلك الجمال.

- أنا أيضاً لا أرغب في القيادة إلى أي مكان الليلة.

لمعت عيناه بقوة، وظهرت ابتسامة على شفتيه وهو يقول: «إذاً سأوصلك إلى غرفتك بنفسي».

إلى غرفتها؟! ارتجفت ما إن تجمعت الأحلام في رأسها فجأة. تصورت زاين يعانقها، يضمها إليه، ويغيبان معاً في عاطفة لا حدود لها. مجرد التفكير بذلك جعلها تشعر بالدوار، فيما غدت حواسها كلها يقظة. تركته يأخذ يدها ويقودها خارج المبنى إلى الحدائق الملتفة بالليل الدافئ. وضع ذراعه حول كتفيها وهما يتجولان حول بركة السباحة وأشجار النخيل، حيث الهواء معطر برائحة الأزهار التي تتألق بنعومة تحت ضوء القمر. في منتصف الطريق نحو غرفهما أقنعت روبي نفسها أن من الأسهل لها أن تضع ذراعها حول ظهره بدلاً من تركها فاصلاً بينهما، وعلى الفور كافأها زاين بضمها إليه أكثر. تعثرت من شدة اضطرابها، واحتجز كعب حذائها بين حصى الطريق. فمال زاين بسرعة إلى الأمام ليمسك بها. نظرت روبي إلى وجهه، ومن خلال ضوء القمر رأت مدى تأثره. وضع يده بلطف عليها، فرفعت يدها لتضعها فوق يده.

لم تنتظر طويلاً لتحصل على جواب منه، إذ أمسك زاين بيدها الأخرى، وعانقها بقوة وشغف عناقاً ألهب مشاعرهما التي راحت تغلي طوال الأمسية. لم تتردد روبي في الاستجابة لعناقه، لأنها لو ترددت ستفكر، وهي لا تريد أن تفكر. غداً سيكون كافياً للتفكير والتخطيط. غداً سيذهبان لزيارة المحامي لينهيا الكره والغضب اللذين سادا طوال الشهر الأول من علاقتهما. لكن هذه الليلة هي فرصتها الوحيدة لتعيش

حلماً احتل كل أوقات صحوتها ونومها. تراجع زاين قليلاً إلى الوراء، ونظر إلى وجهها ليتأكد أنها بخير، بعدئذٍ ومن دون أن يبعد نظره عنها، رفعها بين ذراعيه وسار بها عبر الحدائق.

لمعت ملامح وجهه تحت ضوء القمر، فكرت روبي، أنه يشبه القراصنة. هذه الليلة وتحت ضوء القمر المتكامل رأت الوجه الآخر للرجل الذي قض مضجعها خلال الأسابيع الماضية.

www.elromancia.com

٨ - معاً، في الجحيم

وصلا أمام باب جناحها الخاص، ولم يكن زاين قد وضعها على الأرض بعد. بدا كما لو أنه يحمل كنزاً ثميناً يحرص عليه حرصه على حياته. تحركت روبي بين ذراعيه وقالت: «ها قد وصلنا!».

في الواقع كانت تنعم بدفء صدره وصلابة كتفيه، ولم تشأ أن تبتعد عنه لكنها أجبرت نفسها على التحرك والكلام. وضعها زاين على الأرض مكرهاً. وفجأة، تنشق نفساً عميقاً ثم أطلق تنهيدة قوية، كأنه تذكر أمراً هاماً حرمه من التمتع بهذه الفترة من التناغم والانسجام. بالطبع! أليست هذه نفسها روبي عشيقة والده؟ كيف يسمح لنفسه بتدليلها والتقرب منها؟ يا له من أحمق! وكأن روبي قرأت أفكاره في تلك اللحظة بالذات. بل ربما أدركت ما يجول بخاطره من التغير المفاجئ الذي طرأ عليه. قالت بنبرة مترددة، لكنها لا تخلو من الشجاعة: «أنا لم أكن على علاقة مع والدك. كان لورانس بمثابة أب أحببته كثيراً، لكن ليس كما تظن أنت. أنا ما زلت عذراء».

بدا زاين كمن تلقى صفعة على وجهه. اتسعت عيناه دهشة، وفغر فاه للحظات قبل أن تسمعه يقول: «لكن لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟».

رمته روبي بنظرة باردة كالثلج، وأجابت: «وهل كنت لتصدقني؟ لا أعتقد ذلك».

- جعلتني أصدق أنك عشيقة والدي!

- صدقت ما أردت تصديقه. هذا ما قررته في اللحظة التي التقينا فيها، ولا شيء مما سأقوله أو أفعله كان سيبدل رأيك. فقد أطلقت علي

اسم غانية.

استدار زاين وهو يشعر كأن زوبعة تدور في رأسه. ضغط بيده بقوة على عنقه. إنها على حق، فقد حكم عليها منذ البداية، ولم يكن مستعداً لسماع شيء مخالف لما اعتقده. هذا التبدل السريع في الأجواء بينهما سبب الارباك لكليهما.

- آسف... لم أقصد...

- وهل يشكل هذا أي فرق؟

- لم أقصد أن... لم أكن أعلم...

قالت: «لا بأس. الآن أصبحت تعلم».

اقترب خطوة منها وقال: «روبي!».

شعرت روبي بالخطر يلتف حولها. لا! لا يجدر بها أن تضعف بعد أن هدمت بنفسها خط الدفاع الأول الذي يحميها منه. استدارت نحو الباب وهي تقول: «اعتقد أننا كلانا أخطأنا بحق بعضنا البعض، لكن ذلك أصبح من الماضي. الأمر الجيد هو أنني سأرحل عن برووومي قريباً».

اقترب منها، وأمسك الباب بقوة قبل أن تتمكن من فتحه. طوال ذلك الوقت وهو يفكر أنها عشيقة والده. وطوال ذلك الوقت كان على خطأ، فوالده لم يلمسها أبداً. وهذا أمر لا يجد تفسيراً لديه، نظراً لما يعرفه عنه.

- لا تذهبي الآن. ألا ترين؟ الانسجام الذي شعرنا به هذه الأمسية يغير مجرى الأمور.

هو لا يعلم كيف، لكن هذا ما يجب أن يحدث.

أجابت روبي بنبرة تكاد تصل إلى حدود الهستيريا: «لا شيء سيتغير. إنه تأثير النجاح الذي تحقق في هذه الأمسية. غداً سألقاك في مكتب المحامي وسنتفق على ترتيبات رحيلي. أنا متأكدة أن ذلك مناسب لنا معاً. أما الآن، فأنا أود الخلود إلى النوم بسرعة. أشعر بالارهاق حقاً».

نظرت متعمدة إلى ذراعه التي ما زالت تمسك بالباب مغلقاً. تأمل زاين وجهها وعضلة في خده تنبض بوضوح. إنها على حق. من الأفضل لهما معاً أن يتظاهرا بأن لا شيء تغير بينهما. أدار مقبض الباب وفتحه على مداه.

لا بد أنها جنّت لتسمح لنفسها بمرافقته الليلة! هذا ما فكرت به روبي ما إن أصبحت في غرفتها بأمان. نزعت ثوبها عنها ورمته على السرير، ثم أمسكت بثياب نظيفة وتوجهت إلى غرفة الحمام. أرادت أن تغسل آثار لمساته عنها، لكنها لم تجرؤ على البكاء. كانت على وشك البكاء وهما أمام مدخل جناحها، عندما بدا زاين كأنه تلقى صفعة على وجهه بعد أن علم أنها لم تكن عشيقة والده. لو أنه يكنّ لها ولو ذرة من المشاعر الحقيقية لشعر بالسرور لمعرفته بذلك. لكن، يا لها من غبية! متى ستفهم حقيقة الأمر. إنه لا يريدها، بل ما يريده هو أسهمها، لأنه يؤمن أنها من حقه وحده. حسناً! بدءاً من الغد، سيحصل على أسهمه الغالية.

اعتقدت أنه يتوق إليها كما تتوق هي إليه، لكن تبين لها أنها مخطئة... مخطئة بشكل فادح. أخطأت أيضاً عندما اعتقدت أنه سيشعر بالسرور لمعرفته أنها عذراء لم تعرف رجلاً من قبل.

هناك أمر واحد فقط أبقاها متماسكة وقوية. غداً سيقابلان المحامي وسنيهيان المعاملات القانونية لشراء زاين لأسهمها. بعد ذلك ستحتاج إلى عدة أسابيع حتى تنتهي من المهمات الملقاة على عاتقها بصدد مجموعة الشغف. بعدئذٍ سترحل، وستصبح حرة بالفعل.

أصبح الهروب في متناول يدها، لكنها لم تشعر بأي حلاوة لمعرفتها بذلك. بسرعة جمعت كل ما لديها من أغراض في الغرفة. سوف تحظى بوقت كافٍ في ما بعد للبكاء والتفكير.

لمحت انعكاس صورتها في المرآة قرب الباب وهي تغادر، فجمدت مكانها كأنها فقدت الاحساس والحياة. رأت لطخات من الكحل تحت عينيها، فيما بدا وجهها شاحباً، أما ابتسامتها... الابتسامة التي انطبعت

على وجهها الليلة، وظنت أنها ستدوم إلى الأبد، فقد اختفت ولم يعد لها أي أثر.

* * *

بالنسبة إلى رجل أمضى عطلة طويلة ولم يرجع إلى عمله إلا اليوم، بدا ديريك فينلاسون شديد التوتر. نظر إليهما من فوق نظارتيه باهتمام واضح، وهما جالسان أمام مكتبه فيما بدت نظراته مليئة بالتوتر والحزم.

سألهما: «ما الذي أستطيع القيام به لأجلكما؟ الملاحظة على مفكرتي تبدو غامضة».

نظر زاين نحو روبي، لكنها لم تتعاطف معه مطلقاً، إنها تمسك بورقة بين يديها، فيما نظراتها بعيدة تماماً عنها. تجاهلت حضوره منذ أن وصل إلى مكتب فينلاسون هذا الصباح. وصل زاين باكراً، آملاً أن يحظى بعدة دقائق من وقت المحامي من أجل استشارة خاصة، لكنه وجدها منتظرة. إذاً هي لا تستطيع الانتظار حتى تغادر برووميّ؟ لماذا لا يعطيه هذا الأمر الاحساس بالرضى الذي يتوقعه؟ الظلال تحت عينيها هي فقط ما منحه بعض العزاء. إذاً هي أيضاً لم تتمكن من النوم ليلة البارحة؟ هذا أمر جيد. قال معيراً انتباهه إلى المحامي: «نريد منك أن تحضر لنا بعض الأوراق القانونية. قررت روبي مغادرة برووميّ نهائياً، ووافقت على بيع أسهمها في الشركة لي».

رمش ديريك فينلاسون بعينيه عدة مرات قبل أن ينظر إلى روبي، ويسألها: «هل ما يقوله صحيح، آنسة كلمنجر؟».

هزت روبي رأسها، وأجابت: «عليّ القيام برحلة لأنهي عملي في المجموعة الحالية. لكن عندما أرجع من نيويورك ولندن بعد أسبوعين أو أكثر قليلاً، أفضل أن يكون كل شيء معداً لرحيلي».

فتحت يديها وقدمت له الورقة التي تمسك بها، ثم تابعت: «هذه هي تعليماتي عما سيحدث للأموال العائدة لي ثمناً للأسهم».

نزع ديريك النظارتين عن عينيه، وحدق في الورقة على مكتبه بشك

وحيرة.

- أنتما معاً متفقان على ذلك، إذاً؟

أجاب زاين بتصميم مؤكداً: «بالمطلق».

- مع أننا تحدثنا مطولاً أن عليكما معاً أن تعملا على إدارة شركة باستياني، لأن هذه هي إرادة والدك بالتحديد؟

قال زاين: «ليس للأمر أهمية. هذا الاتفاق غير ناجح، كما أننا نعتقد معاً أنه حان الوقت للقيام بشيء ما بشأنه. عرضت علي روبي شراء أسهمها بسعرها المطروح في السوق».

أدارت روبي رأسها بسرعة قائلة: «ماذا؟ ذكرت لي ربحاً إضافياً بقيمة عشرين بالمئة».

إذاً كل ما يهمها هو المال! وكل ذلك الحديث عن عدم رغبتها به... كل ذلك التعالي والتظاهر بأنها لا تريد شيئاً... وها هي الآن تحمل ورقة كتبت فيها تعليمات واضحة بما يجب القيام به. حسناً! صحيح أنه أخطأ باتهامها بأنها كانت عشيقة والده، إلا أنها ما زالت تتحين أية فرصة لتحصل على المال بكل جرأة ووضوح. ألهذا السبب بدت لطيفة معه؟ ألأنها تصورت أنها ستحظى بنسبة العشرين بالمئة؟ شعر زاين بغضب صارخ في داخله.

- وأنا الذي اعتقدت أنك لست مهتمة بالمال. أتريدين أية زيادة عن نسبة العشرين بالمئة؟ هل ترغبين بزيادة بنسبة ثلاثين في المئة؟

حدقت إليه بغضب، وأجابت: «أنت من عرض تلك النسبة. بالطبع أنت لا تفكر الآن بالتراجع عن عرضك... ليس الآن».

تدخل ديريك بينهما قائلاً: «آه، عزيزاي! لا شك أن ليس هناك أي أمل في ظل هذه الظروف الراهنة، لكن عليّ فعلاً أن أسألكما إن كانت هناك أية فرصة لتفكرا بالأمر. والدك كان مصراً جداً على أن تديرا الشركة والأعمال كلها معا».

قالت روبي فيما أعادت انتباهها إلى ديريك بنبرة صوت ناعمة لكن

حازمة: «آسفة، سيدي! حاولنا أن نعمل معاً. حاولنا ذلك حقاً، لكن العمل المتعلق بمجموعة الشغف كاد ينتهي، وحان الوقت لي لأنتقل إلى بلد جديد. كما أن زاين يمسك تماماً بإدارة الشركة الآن، أنا متأكدة أن هذا ما أراده لورانس، لذا ليس في الأمر أية مشكلة».

أضاف زاين: «كما أنه لا يستطيع أن يدفعنا للقيام بأمر لا نريده، فنحن المسؤولان عن الشركة الآن».

تنهد المحامي، ثم قال: «حسناً! يؤسفني أن الأمور جرت بينكما على هذا النحو. أنا آسف جداً، لكن أخشى القول إن الأمر ليس بهذه البساطة».

فتح الملف الموجود أمامه، وقلب صفحاته حتى وجد الورقة التي يريدها، ثم تابع: «آه! ها هي. كما ترياان... عندما أقدم لورانس على كتابة وصيته، طلب مني أن أخفي أمراً واحداً عنكما معاً».

سأل زاين: «ما الذي تتحدث عنه؟».

قطبت روبي جبينها، وسألت: «لماذا فعل ذلك؟».

- أن يرث كل منكما خمسة وأربعين سهماً من أسهم الشركة، فيما تكون الأسهم العشرة الباقية للموظفين والعمال، كلها أمور صحيحة تحت شرط واحد.

- أي شرط؟

نقل ديريك فينلاسون نظرته من فوق نظارتيه بينهما، ثم قال: «لكي يحصل الموظفون على أرباحهم، ولكي تتمكنا من الحصول على إرثكما، عليكما أن تتشاركا في إدارة الشركة لفترة لا تقل عن اثني عشر شهراً».

نهض زاين عن كرسيه باندفاع، وقال: «اثنا عشر شهراً! أتقول إن روبي لا تستطيع الرحيل الآن حتى لو اشتريت حصتها؟».

- أعتذر منكما. أعلم أية صدمة هذه عليكما معاً. لم أوافقه على طلبه هذا، لكن لورانس أصر عليه. قال لي إنكما إن علمتما بهذا الشرط

منذ البداية فستقفان ضده منذ اليوم الأول، وهكذا لن يسير العمل بشكل جيد. أعترف لكما أنني تمنيت ألا تعلما مطلقاً به، لكن هذا هو الوضع بالتحديد.

تنفس بعمق قبل أن ينظر إلى زاين بحزم وثبات متابعاً: «أنت لست في وضع يخولك شراء حصة الآنسة كلمنجر. لا أحد منكما سيملك تلك الأسهم بالفعل قبل مرور سنة كاملة».

- أتعني أنها لا تستطيع المغادرة؟

- لا أحد منكما يستطيع الابتعاد عن الشركة قبل انقضاء تلك المهلة، إلا إذا كنتما تريدان التخلي عن الشركة. لذا، أخشى القول إن كنتما تريدان تأمين حياة كريمة للعمال مثل كيوتو فعليكما تنفيذ وصية لورانس كما هي، والبقاء في الشركة معاً لتسعة أشهر إضافية.

قالت روبي بصوت بالكاد يُسمع: «لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً. لا بد من إيجاد مخرج ما».

نظر زاين إليها وشعر بالصدمة لرؤية شحوبها. كم يسهل رؤية ألمها! كانت لتتقبل هذا الأمر تحت أي ظروف أخرى، ولربما تجده تحدياً جديداً لها. أما الآن فهي راغبة فقط بالابتعاد عنه.

هز ديريك رأسه معتذراً، وقال: «آسف فعلاً، عزيزاي! ليس هناك أي شيء آخر أستطيع القيام به».

نهضت روبي عن الكرسي بسرعة. وقبل أن ينهي كلامه، خرجت من الغرفة وهي تصرخ كأنها طائر مجروح.

- روبي!

- آنسة كلمنجر!

نهض المحامي عن كرسيه وهو يحمل رسالتها بيده.

أمسك زاين بسترته، وخطف الورقة منه قائلاً: «سأوصلها لها».

توقفت روبي عن الركض ما إن وصلت إلى الطريق. تنفست بصعوبة وهي تقف في ظل شجرة في الحديقة، محاولة أن تقوى على شعورها

بالغثيان. الهروب أصبح الآن وهماً هشاً. في لحظة ما بدت الحرية كبيرة جداً وواعدة كالأفق، وفي اللحظة التالية تبددت إلى غبار كثيف تشتت مع الريح، تاركاً إياها مقيدة إلى الواقع... مقيدة في الجحيم.

كيف يمكن للورانس أن يفعل ذلك بها؟ ما الذي كان يفكر به، بحق السماء؟ طلب منها أن تعتني بزاين، فيما هي غير قادرة على الاعتناء بنفسها. ليلة البارحة برهان ثابت عن ذلك، فقد تعلقت بزاين واستجابت لعناقه من أعماق قلبها. وضعت يدها المرتجفة على الشجرة لتهدأ قليلاً، ووضعت اليد الأخرى على عنقها. كيف يمكنها أن تبقى في برووميي بعد اليوم؟ كيف لها أن تواجه زاين يوماً بعد يوم بهدوء وتتحدث معه عن العمل، وهي تعلم أن انجذابها إليه واضح؟

ناداها زاين عبر الشارع: «روبي!».

لم تجب بل تحركت نحو الحديقة الهادئة، وهي لا تزال تحاول السيطرة على الغثيان في أعماقها. هي لا تريد أن تتذكر مع من ستبقى مقيدة في الجحيم.

بعد مرور لحظات قليلة لحق بها، وسألها: «هل أنت بخير؟».

استدارت لمواجهته وهي تجيبه بغضب: «ماذا تعتقد؟ علمت للتو أنني مقيدة هنا معك لمدة تسعة أشهر إضافية. بالطبع، أنا لست بخير!».

- وهل تعتقدين أنني سعيد بما حدث؟

أدارت ظهرها له وهي تجيبه: «لا أهتم مطلقاً لما تفكر به».

- لا تلقي اللوم عليّ بشأن ما حدث! فأنا لم أفعل ذلك بك. ضعي اللوم على حبيبك لورانس، فهو من وضع هذه الوصية المجنونة.

- فقط لأنه لا يثق بك! من يستطيع لومه، بحق السماء؟

أمسك زاين بذراعها، وأدارها لتنظر إلى وجهه، وترى بوضوح الغضب في عينيه السوداوين، قال: «لا أعلم ما هي أسبابه، ولا أدري إن كان لديه سبب بالفعل، لكنني متأكد أنني سأعرف السبب. صدقيني! أنا مستاء وغاضب مثلك لأننا مقيدان بهذا الكابوس».

قالت: «لا تلمسني!».

وأبعدت ذراعها على الفور، وعيناها تتوهجان كالنار. بالطبع هو مستاء وغاضب، فهو لا يريدها بقربه، وهي تملك مثل حصته بالأسهم وتسيطر على الشركة التي يريدها لنفسه. حسناً! لديها حل سيعطيها وقتاً لتفكر، وتشفى من توقها إليه.

قالت: «العرض في سيدني سيتم بعد أقل من أسبوع من الآن، لكنني بحاجة إلى بعض الوقت. أفكر في السفر قبل يومين من العرض. يمكنني أن ألتقي بعائلتي قبل أن أسافر لعرض المجموعة عبر البحار».

قال زاين بحذر: «حسناً! سألقاك في سيدني قبل العرض».

اعترضت روبي وهي ترطب شفتيها: «لا! ما من داعٍ لحضورك. شهدت العرض الأساسي هنا، واتفقنا على أن أقوم بالجولة بمفردي. أقصد، إن كنا مضطرين للبقاء معاً لأشهر قادمة، ربما من الأفضل لنا أن نحظى ببعض الوقت بعيداً عن بعضنا».

ضاقت عيناه وهو يراقبها. وشعرت روبي بالامتنان لأنه على الأقل يملك الحس الكافي ليشعر بالارتياك.

- حسناً! سأبقى هنا. لكن إن حدثت مشاكل، أريد أن أعلم بها على الفور.

* * *

تأكد زاين من الرسائل التي وصلته، وأقفل سماعة الهاتف مرة ثانية، وهو يزمجر. وصلته رسالة من مكتبه في لندن تعلمه بأن الأعمال تسير على ما يرام، ولديه ثلاث رسائل من إنيليزا تطلب منه أن يرد على اتصالاتها، لكن لم يصله أي شيء من سيدني. غادرت روبي منذ يومين، ولا بد أن هناك ما يجب أن يعلم به! ما كان عليه أن يوافق أبداً على ذهابها بمفردها. لكنها لم تكن تستطيع الانتظار لتبتعد عنه. لم تكن تستطيع الانتظار لتحصل على مالها.

شد على أسنانه بقوة. عندما اكتشف أنها لم تكن يوماً لوالده، شعر

للحظة بأن الأمور قد تختلف بينهما الآن. صحيح أنه أخطأ بالحكم عليها، وبشكل سيء جداً، لكنه فجأة أدرك أن القواعد الرئيسية تغيرت، وربما... إن كان يستطيع وضع الأمور في نصابها... ربما سيحظى بفرصة ليفعل شيئاً ما بشأن تلك الرغبة نحوها والتي تسيطر عليه تماماً. بدت متجاوبة مع عناقه تلك الليلة. بدت ناعمة كالحرير بين ذراعيه، دافئة وحنونة. ما زال يريد أن يقتنع أنها لا تزال تريده، لأنه ما زال يحترق شوقاً إليها!

لكن الحقيقة القاسية شتتت تلك الأفكار. إنها تريد فقط المال، بالرغم من إنكارها لذلك، فالرعب الذي ظهر عليها عندما اعتقدت أنها خسرت النسبة الإضافية للأسهم يظهر جشعها أكثر من أي شيء آخر. حسناً! ما زالت قادرة على الحصول على مالها، كل ما عليها أن تفعله هو الانتظار لفترة أطول لأجله، ولورانس حدد ذلك بنفسه.

رن جرس الهاتف، فرفع السماعة على الفور. أخيراً...

- روبي!

وكأن رغبته في سماع صوتها ستجعل من ذلك أمراً واقعاً. همس الصوت من الناحية الأخرى: «أنا إنيليزا، ولدي أخبار رائعة لك».

تقبل زاين أنه لن يسمع أية أخبار من سيدني عندما غادر المكتب أخيراً تلك الليلة. ارتدى سترته اتقاء للنسيم البارد وهو يتجه نحو سيارته. سمع خشخشة غير مألوفة لديه وهو يمد يده إلى جيبه. نظرة واحدة إلى الورقة كانت كافية ليعلم أنها الورقة المطبوعة التي قدمتها روبي للمحامي. نسي زاين أن يعيدها إليها، لكن على أي حال ليس لها أية قيمة الآن. كان على وشك أن يحولها إلى كرة ويرميها بعيداً عندما لمح بعض الكلمات التي أيقظت انتباهه. سيطر الفضول عليه، فجلس وراء مقود سيارته وأدار المحرك القوي. إذا كانت الورقة تتعلق بشركة باستياني، فهذا شأنه أيضاً، وعليه أن يتأكد مما تحتويه. فتح الورقة، واتسعت عيناه على الفور وهو يقرأ التفاصيل ويجمع الأرقام.

بعد ذلك، بدا كأن موجة سامة من الرعب سقطت عليه، موجة لزجة، باردة، تمتص الحياة من أوصاله. أصيب بالرعب لأنه أساء الحكم عليها بشدة، ولأنه أخطأ في تفسير الأمور من جديد.

روبي لن تأخذ فلساً من ثمن الأسهم لنفسها. لا شيء على الإطلاق! جزء كبير من ثمنها سيمنح مع نسبة العشرين بالمئة التي قدمها لها إلى «مركز بيرل»، وهو مأوى للنساء في سيدني. لا عجب أنها قلقت كثيراً بشأن الربح الإضافي. من المؤكد أنها ذكرت لأحد ما أنها ستقدم له المال.

أدار المحرك، لكنه لم يشعر بالراحة من الصمت، فكيف سيشعر به ودماؤه تجري بعنف في عروقه، وانفجار الاتهامات المضادة تدور في رأسه كالعاصفة. كيف يمكنه أن يخطئ بشأنها مجدداً؟

٩ - هو منقذي

بدا كأن أفراد المجتمع الراقي في سيدني أتوا كلهم إلى دار الأوبرا للترحيب بمجموعة الشغف. إنه نجاح خيالي جديد، لكن الأمر الأهم لروبي أن شقيقتها وأمها هما بين الحاضرين. مرة ثانية حظيت القلادة الأخيرة بالمزيد من التهليل والتصفيق. إن ترجم هذا الحماس إلى أموال نقدية، فهذا يعني أن هذه السنة هي سنة ناجحة جداً لشركة باستياني، وأن روبي ستحصل على نسبة جيدة من الأرباح، وهذا سيعتبر تعويضاً لها عن الإقامة الجبرية في الشركة. أما الآن، وهي تتقبل تصفيق الحضور، فلم تستطع إلا أن تشعر بقلبها مغموراً بالفرح والفخر. قامت بما وعدت نفسها القيام به عندما غادرت سيدني إلى برووميي، وهي لا تحمل إلا إجازة في تصميم المجوهرات، والرغبة في أن تصنع أجمل الحلي في العالم. والآن ها هي تعيش نجاحها الحقيقي، تماماً كشقيقتيها أوبال وصافي، فهما ناجحتان جداً في عملهما. ربما ستشاركهما يوماً ما نجاحهما في حياتهما العاطفية أيضاً، مع أنها لا تملك أية فرصة لتحقيق ذلك.

انحنت للمرة الأخيرة، ونظرت إلى المسرح المليء بالناس. التقطت نظراتها حركة غير متوقعة سمرت عينيها، فراح قلبها يدق بعنف. لا يعقل أن يحدث ذلك...

زاين! يبدو غامضاً وخطراً، ويرتدي بذلة رسمية تزيده وسامة. استمرا في التحديق ببعضهما، وبدا لها كأن القاعة امتلأت بشحنات كهربائية أثرت في أعصابها. أصرت روبي على إحساسها بالكره له وهي تبعد عن

نفسها مدى تأثرها بوجوده. ما الذي يفعله هنا على أي حال؟

نزلت عن المسرح بينما استمر التصفيق. رأت أوبال وأمها تشقان طريقهما عبر الحشود نحوها. نظرت بقلق حولها، لكنها لم تجد أي أثر لزاين قبل أن تنشغل بعناق أفراد عائلتها. صرخت أوبال وهي ترمي بذراعيها حول عنق أختها: «روبي! أنت نجمة بالفعل».

تابعت أمها معلقة: «ما هذه المجموعة المذهلة؟ ستحظين بإعجاب كل سكان سيدني، سيمتدح الناس أعمالك لوقت طويل جداً».

- ليس فقط سيدني، بل العالم كله.

رحبت روبي بالنبرة الإيطالية المميزة وهي تبتسم.

- دومينيك!

صرخت عندما رفعها صهرها الوسيم، وأدارها بين ذراعيه.

- تصاميمك شاعرية جداً، أي شخص سيعتقد أنك إيطالية، عزيزتي.

ضحكت روبي من تعليقه الساخر، فهي تعلم أنه لا يحب أحداً غير أوبال كنزه الحقيقي، مع ذلك تركته يعانقها قبل أن يضعها على الأرض بلطف.

قالت: «كم هو رائع قدومكم!».

قصدت بذلك الجميع وهي لا تزال تنظر إلى وجه دومينيك الوسيم، وما زالت ذراعاهما متشابكتين.

شعرت بيد تمسك كتفها، ما جعل حرارتها ترتفع. لم تكن بحاجة كي تستدير لتعلم من هو صاحب اليد، فهي تعلم من يكون.

- آسف على قطع هذا الاجتماع السعيد، لكنني بحاجة فعلاً إلى التحدث في أمر ما مع روبي.

استدارت روبي لتنظر إليه. بدت ملامح زاين متوترة وغاضبة.

- زاين! ما الذي تفعله هنا؟ هل حدث شيء ما في برووميّ؟

لم ينظر زاين إليها، ومن المحتمل أنه لم يسمع ما قالته أيضاً. لأنه راح يحدق بقوة بدومينيك، وقد بدت ملامح وجهه عاصفة كالرعد. حدق

دومينيك به بالقوة والشدة نفسها. راح الرجلان ينظران إلى بعضهما كأنهما في حلبة قتال. كسرت أوبال الصمت أولاً: «دومينيك، ألم تسمع الرجل؟ فهو يحتاج إلى روبي، دعها لتتمكن من التحدث إليه».

لم تفارق عينا دومينيك وجه زاين وهو يقول: «أتريدين ذلك، روبي؟».

قالت روبي وهي تحاول أن تركز أفكارها، بينما الجميع يحدقون بالأصابع التي تمسك بكتفها بتملك، وبالحرارة الواضحة على وجهها المتورد: «هذا زاين باستياني، شريكي في إدارة شركة باستياني للؤلؤ. زاين، هذه أمي بيرل، وشقيقتي أوبال، وهذا دومينيك سيلفاغني، صهري، زوج أوبال».

إن كان زاين قد تفاجأ، فهو لم يظهر ذلك. أخفى ذلك التوتر بالتصرف بكياسة وسحر وهو يصافح السيدتين. أخيراً قال وهو يصافح دومينيك وقد خفتت نظرات القتال بينهما: «دومينيك... ! أعرف هذا الاسم من قبل. الفنادق... أليس كذلك؟ مكثت مرة في فندق سلفيرز في باريس. أهو أحد فنادقك؟».

رفع دومينيك حاجبيه، وعلق: «أنا حقاً مندهش. اعتقدت أنك تعرف سلسلة فنادق كلمنجر، نظراً للإرث العريق لعائلة مصممتك النجمة».

رماها زاين بنظرة قادرة على تفتيت الرخام، لكن روبي تجاهلته. وعدت أفراد عائلتها أنها ستلقاهم في ما بعد، قبل أن تسمح له أن يقودها إلى مكان أكثر هدوءاً.

سألته: «ما الذي حدث؟».

- لماذا لم تخبريني؟

لم تفهم ما الذي يقصده. شعرت بأعصاب جسدها تتلوى كأنها في موقد من نار كلما قرّب يده ليلمسها ويرشدها إلى الطريق. شعرت روبي بالغضب من نفسها فهذا نوع من الجنون، وهي لن تستسلم له. ابتسمت لبعض الضيوف وهي تتقبل التهنئة منهم، فيما قادها زاين إلى خارج

المسرح. سألته، وهي تشعر بالقلق: «أخبرك... عن ماذا؟».

- أنك واحدة من أثرياء كلمنجر!

أجابت بمنتهى الصراحة: «لم تسأل مطلقاً، وكنت تستمتع بوصفي باحثة عن الذهب كلما سنحت لك الفرصة».

أمسك زاين برسغها، وأدارها نحوه، فلم يعد لديها خيار إلا أن تنظر إلى وجهه. قال: «لم أكن أعلم».

- هذا أمر واضح جداً، لذلك اخترعت ما يحلو لك.

- بل افترضت ذلك.

همست روبي: «الأمر سيان! ألّفت قصة تناسبك، وتناسب كبرياءك المحطمة. قلت لك إنني لا أريد مال والدك، وأنت لم تزعج نفسك بمعرفة السبب. أردت ببساطة أن تصدق أنني غانية أبحث عن المال بأية وسيلة ممكنة».

لمعت عيناه بالغضب، واستدار وهو يشعر بندم كبير.

- هذا أحد الأسباب التي دفعتني للقدوم إلى هنا، لكي أعتذر.

نظرت متعمدة إلى حيث ما زالت يده ممسكة بيدها بقبضة حديدية.

- أهذه هي فكرتك عن الاعتذار؟ يا للغرابة! معظم الناس يبدأون بالقول: «نحن آسفون».

- تباً!

ترك زاين يدها وابتعد قليلاً نحو الممر واضعاً يديه على جانبي سترته. لا تجري الأمور كما خطط لها، لكن المفاجأة المذهلة بأنها تنتمي إلى عائلة كلمنجر الثرية هي أكبر المفاجآت التي تعرض لها. كان بإمكانه أن يعلم بشأن صلتها بالعائلة، لو أنه فقط لم ينظر إلى صور تمسك فيها بذراع والده. لو أنه أخذ الوقت لقراءة المقالات بدلاً من رميها في سلة المهملات طوال تلك السنين، لربما عرف الكثير. على الأقل هذا يفسر سبب عدم حاجتها للمال، كما يفسر أنه ليس من قبيل الصدفة أن تحجز له مساعدته الشخصية في فندق في سيدني يحمل اسم

عائلة روبي.

مرّ عدد من الحضور في الممر، فامتلأ المكان فجأة بضحكاتهم ومرحهم ورائحة عطورهم المميزة. أمسك زاين بيدها من جديد، وهو يقول: «تعالي! لا يمكننا التحدث هنا».

بدأت بالقول: «لكن حفل الاستقبال».

قاطعها قائلاً: «لن أؤخرك كثيراً».

قادها من يدها على الدرج، فرفعت روبي حاشية ثوبها باليد الأخرى. الليلة تبدو كأميرة قادمة من الإمبراطورية الرومانية، فقد لفت شعرها حول وجهها وجمعته بعقد من اللؤلؤ عند مؤخرة عنقها، وارتدت سواراً وقرطين ملائمين للعقد. أما القماش الناعم لفستانها فيلتف حول كتف واحدة، ثم ينحدر ليضم جسدها الجميل وينساب في طيات ناعمة عند قدميها.

سألته وهي تسحب يدها من يده: «قل لي ما تريد قوله».

تنهد زاين وهو يحاول استجماع أفكاره، وهما يسيران عبر المرفأ. بدت الأمسية رائعة. المرفأ وأضواء الأبراج العالية والمنازل المنتشرة عند الساحل الشمالي تعكس أضواءها على صفحة المياه الراقصة كالأحجار الكريمة المصقولة. نظرت روبي إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين المتسائلتين، وقد أحيط وجهها بخصل من شعرها جراء النسيم العليل، وهذا ما جعلها أكثر جمالاً ورقة.

رغب زاين في إيقافها عن السير، وضمها بين ذراعيه ليحيي تلك الأحلام التي عذبته منذ فراقهما في بروومي، أحلام مليئة بالعناق والتودد إليها ومعاملتها كما يجب أن تعامل. لكن لا يحق له أن يفعل ذلك الآن أكثر من أي وقت مضى. وهكذا، بدلاً من أن يخبرها كم هي جميلة، أو يضمها بين ذراعيه، استمر في السير. بدأ بالقول: «أنا مخطئ... أخطأت بحقك منذ البداية، وكل ما فعلته زاد الأمر سوءاً. أنا آسف على ذلك، آسف جداً».

رفعت روبي نظرها إليه، وبدا القلق على محياها.

- وهل يفترض أن يجعل اعترافك كل شيء جيداً؟

- من الصعب قول ذلك، لكنني أردت أن أخبرك. لم أستطع انتظار عودتك من أوروبا.

توقف زاين عن الكلام، ووقفا جنباً إلى جنب عند حافة المرفأ، ينظران إلى المياه السوداء، اعترف قائلاً: «أخطأت جداً بحقك. شككت بموهبتك، وشككت بدوافعك، واتهمتك بكل ما أكرهه في المرأة، وفوق ذلك سببت لك الأذى أيضاً».

رفع رأسه إلى السماء قبل أن يتابع: «أنت تعلمين... أشعر بالغيرة من والدي... غيرة عمياء لأنك كنت له. شعرت بالغيرة من علاقتكما حتى بعد موته، وهذا ما أوصلني إلى الجنون. شعرت بانجذاب قوي نحوك، وكنت طيلة الوقت أظن...».

- تظن أنني عشيقة والدك.

- لست فخوراً بما حدث، لكن هل من الصعب تفهم ذلك؟ أنت جميلة، وكنت تعيشين معه، وقد ترك لك عملياً نصف ثروته، فبماذا يجب أن أفكر؟

اقترحت روبي بقسوة: «كان بإمكانك أن تسأل، بدلاً من أن توجه الاتهامات».

اعترف زاين: «أجل. أنت على حق. لكن تلك الليلة، أثناء عرض المجموعة أردت معانقتك بشدة لدرجة أنه لم يعد هناك أي شيء مهم. أردت أن أطفئ نار شوقي إليك قبل أن ترحلي، ولم أهتم لكونك كنت على علاقة مع والدي. شعرت بالصدمة عندما أخبرتني أنك ما زلت عذراء، وأنك لم تكوني لأحد من قبل حتى لوالدي».

اعترفت قائلة: «لم أشأ أن تعرف، لكن لم أدرك يومها لماذا اعترفت لك بالأمر».

استدار لينظر إليها قائلاً: «لكن لماذا؟ فقد سببت لك الأذى».

- لأنني كنت سأغادر بروومي قريباً. وكان ذلك أفضل بالنسبة لي.

- لا ألومك إن كنت تكرهينني. أصبت بالرعب عندما اعتقدت أنك مهتمة فقط بالمال الذي ستحصلين عليه من الأسهم، ثم اكتشفت ما الذي ستفعلينه بالعشرين بالمئة الإضافية.

قطبت روبي جبينها، ونظرت إليه متسائلة.

- تركت ورقة التعليمات على مكتب ديريك فينلاسون. أسرعت وراءك لأعيدها لك، لكنني وضعتها في جيبي وأنا أركض نحوك. عندما وجدتها ثانية كنت أنت في سيدني، وأدركت أنني أخطأت مرة أخرى، لذا لم أستطع الانتظار حتى عودتك. كان عليّ أن أخبرك أنني أخطأت بحقك، وأنني آسف.

وقفا صامتين لفترة، وكل منهما غارق في أفكاره.

قالت روبي: «عليّ العودة إلى حفلة الاستقبال، لكن شكراً لك».

رفع زاين كتفيه وقال: «هناك أمر واحد لم أفهمه».

- ما هو؟

- لماذا عشت في منزل والدي؟ أدرك أنني كنت مخطئاً بالقفز إلى النتائج، لكن كيف حدث أنك تشاركت معه منزل أمي؟

ترددت قبل أن توضح: «أعتقد أن ما سأقوله سيبدو غريباً، لكنها قصة طويلة. في الواقع والدك أنقذني».

- كيف؟

تنهدت قبل أن تبدأ القول: «ذهبت إلى بروومي مباشرة من الجامعة، وكانت تلك المرة الأولى التي أعيش فيها بعيداً عن سيدني. عمل جديد، ومدينة جديدة، ومسؤوليات جديدة. كنت متحمسة جداً. أحد زملائي في العمل كان يعيش في منزل مشترك مع فتاتين وكانوا يبحثون عن زميلة رابعة لتشاركهم في دفع الإيجار. بالطبع كان بإمكاني العيش بمفردي، لكنني رغبت في إيجاد أصدقاء لي».

تنهدت متابعة: «راح زميلي هذا يقدم لي كل مساعدة، وكنت أشعر

بالامتنان نحوه. كان يوصلني إلى الشركة كي لا أستخدم وسائل النقل العامة. ثم ينتظرني ليعيدني إلى المنزل، حتى عندما كنت أتأخر في تصميم قطعة ما غافلة عن الوقت تماماً. لم ينزعج يوماً من ذلك. إن احتجت إلى أي شيء، وفي أي وقت، كان يعرض عليّ الذهاب للتسوق أو لإحضار ما أريده. أول من لاحظ تصرفاته الغريبة صديقاتي في الشقة. شعرتا بالقلق لدرجة أنهما ذكرتا لي ذلك. في البداية اعتقدت أنهما تبالغان، وربما تشعران بالغيرة، فقد وجدته لطيفاً، ولم يحاول مرة التودد إلي. لكن بعد فترة بدأت أدرك أنهما على حق، فإذا أردت الذهاب إلى أي مكان حتى إلى المكتبة، كنت أجده هناك، وإن رغبت في الخروج كان يصر على الذهاب معي أيضاً. إلى أن سألني شخص آخر الخروج برفقته».

شعر زاين على الفور بالغضب يجتاحه، فمال برأسه حتى يتمكن من رؤية وجهها، فيما هي تحدق من دون أن ترى في الفضاء أمامها.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

نظرت روبي إلى يديها المتشابكتين، وتنفست بعمق قبل أن تتابع: «أصيب بالجنون. قال لي إنني لا أستطيع الذهاب، وإنه لن يسمح لي. شعرت بالسأم من تلك التصرفات ومن ذلك الافتتان بي، فقد أصبحت أشعر كأنني أعيش في سجن. عندما طلبت منه أن يتركني وشأني، قال لي إنني له، وإن لا أحد غيره سيحصل علي».

توقفت عن الكلام برهة، ولاحظ زاين توترها وارتجافها ما إن تذكرت تلك الأيام الماضية. بعدئذٍ تابعت: «عندئذٍ شعرت فعلاً بالخوف».

شعر بالغضب يتضاعف في صدره، فهو متأكد من الشعور بالخوف في كلماتها، قاوم بشدة كي لا يضمها بين ذراعيه، ليجعلها تشعر بالأمان.

- ماذا عن الشرطة؟

- آه! حاولت الاتصال بالشرطة، اتصلت بهم من الشركة، وسألتهم إن كانوا قادرين على مساعدتي، لكنهم قالوا إنهم لا يستطيعون إدانته قبل أن يقدم على عمل ما.

ضغط زاين بأظافره على راحة يديه وهو يسأل: «ماذا عن عائلتك؟ هل طلبت منهم المساعدة؟».

ابتسمت روبي وهي تجيب: «كانوا كلهم بعيدين جداً، وهل تصدق أنني لم أرغب في إثارة قلقهم؟ أعلم أن الأمر يبدو سخيفاً الآن، لكن أوبال كانت قد تزوجت منذ فترة قريبة وهي حامل، أما صافي فكانت في ميلان تؤسس عملها في عالم الأزياء. كما أننا كنا قد اجتمعنا بأمنا مؤخراً، وذلك بعد عشرين عاماً. ولم أستطع تحمل فكرة أن أعود إلى بلدي فاشلة. كما أنني كنت أحب العمل باللؤلؤ، وكنت مصممة على النجاح في هذا العمل».

استدار زاين نحوها بشكل كامل، قال وهو يمرر يده على خدها: «لا يمكن مطلقاً أن تكوني فاشلة. أنت برهنت عن ذلك بقوة».

ضغطت على شفتيها كأنها لا تصدق ما سمعته، لكنها لم تبتعد عنه أيضاً.

- بكل الأحوال، لأنهي تلك القصة الطويلة... أخيراً قام بعمل غبي، وهكذا تمكنت الشرطة من الإمساك به.

شعر بألم في أعماقه وهو يسألها: «هل سبب لك الأذى؟».

لم تقل أي شيء على الفور، لكنه لاحظ كيف أخذت تتنفس بصعوبة، ثم زفرت الهواء بهدوء.

- ليس جسدياً. لكن التجربة التي مررت بها أخافتني كثيراً. اعتقدت أنني لن أثق بأحد بعد ذلك. وضع لي دواء ما في شرابي، لأنني استيقظت في كوخ للصيد. كانت الحرارة مرتفعة جداً في الداخل حتى إنني بالكاد استطعت التنفس. صديقتاي في الشقة أرسلتا الإنذار إلى الشرطة التي احتاجت إلى يوم كامل حتى تجدني. لم أكن يوماً سعيدة في

التنفس مثل ذلك اليوم. فقد كنت خائفة جداً.

تنفست روبي بعمق قبل أن تتابع: «أصيب لورانس بالذهول. وهو كان أول من زارني في المستشفى. كره جداً أن يقدم أحد موظفيه على ارتكاب مثل هذا العمل مع موظفة أخرى. أعتقد أنه شعر بالخيانة من قبل ذلك الرجل، كما أنه شعر بالمسؤولية من حدوث مثل هذا الأمر في مؤسسته. أتت أمي وأختاي لزيارتي، ودعانا لورانس جميعاً للإقامة في منزله. بعد رحيلهما، لم أرغب في البقاء بمفردي، وعندما اقترح لورانس أن أبقى في منزله حتى أشعر بالراحة أكثر، وافقت فوراً على العرض».

ابتعدت روبي عن السياج قليلاً، واستدارت لتواجهه: «قد يبدو لك ذلك مضحكاً، لكننا كنا نعمل معاً لمدة سنة تقريباً وكنت أثق به. كنت أحترم عمله في صناعة اللؤلؤ، وقد علمني الكثير. كان هو الشخص الوحيد في برووميِ الذي أستطيع الوثوق به، فوالدي توفي منذ عدة سنوات، وكان لورانس أفضل والد يمكن للمرء أن يجده».

رفعت نظرها إليه، وابتسمت: «والدك أنقذ حياتي. جعلني أشعر بالأمان عندما كنت خائفة، وعاملني كأنني ابنة غالية جداً له. هل تفهم الآن لماذا أحببته واحترمته كثيراً؟».

تحرك زاين بقلق. فليس هذا هو الوالد الذي تركه، والذي تخلى عنه طوال تلك السنوات. روبي وثقت به بدون أي شرط، وهو الرجل نفسه الذي لم يستطع هو الوثوق به أبداً. لماذا حدث ذلك؟

- بقيت معه طوال تلك السنين. هل كنت خائفة من العيش بمفردك؟

- لا. بعد مرور عدة أشهر، وعندما علمت أن الرجل أصبح بعيداً في السجن، بدأت بالبحث عن شقة، لكن في تلك الفترة أصيب لورانس بأول أزمة قلبية له. كانت مجرد أزمة صغيرة، لكنني لم أستطع تركه بمفرده، لاسيما أنه بحاجة إلى شخص يبقى بقربه. كان كيوتو حاضراً للمساعدة، لكنني لم أستطع الاعتماد عليه وحده.

شعر زاين كأن هناك عقداً تتمزق في أحشائه. لا بد أن قلب لورانس

تعرض لكثير من الأزمات عبر السنين، ووالده لم يخبره بذلك قط، كما أن زاين لم يجد الوقت ليكتشف حقيقة الأمر. اعتقد أن والده القوي سيعيش إلى الأبد. سيطر عليه إحساس بالندم والحزن. لماذا لم يخبره والده بكل هذا؟ كيف سمح للمرارة والغضب أن يملآ حياته؟ قال: «أنا آسف. أخطأت كثيراً بحقك».

علمت روبي أن ما حدث ليس كله بسبب خطئه. مع أنها كرهت تلك الكلمات التي وصفها بها، لكنها تركته يعتقد ذلك، مختارة أن توافق على تفسيره للأمور بدلاً من إخباره بالحقيقة، لأن ذلك ناسبها. كان ذلك خط دفاعها، لتتمكن من حماية نفسها ومقاومته. بإمكانها أن تقول له ذلك الآن، أو بإمكانها ألا تتحدث عن الأمر مطلقاً. فلديهما شهور للعيش معاً بعد.

- يجب أن أعود الآن إلى حفلة الاستقبال. فإن كان هناك أي شيء آخر...

نظر زاين إليها باستغراب، فيما ظهرت ملامح جديدة من العواطف على وجهه. أخيراً قال كأنه كان يفكر إن كان عليه إخبارها أم لا: «في الواقع، هناك شيء ما... اكتشفت أخيراً لماذا وضع لورانس تلك الوصية المجنونة».

اقتربت روبي منه وهي تشعر بالفضول. سألته: «بالطبع، فعل ذلك ليتأكد من الاستمرار في العمل بطريقة تسهل عليك الرجوع إلى مكانتك في شركة العائلة».

- لا شك لدي مطلقاً أن ذلك هو جزء من رغبته، لكن لورانس كانت لديه خطة أكبر. أعتقد أنه كان يأمل أن ينتهي بنا الأمر كزوجين.

١٠ ـ كلمات مضيئة

أجابت روبي بدهشة: «لا بد أنك تمزح! هذا جنون».

- هل ما أقوله لا يصدق، أم أن كل ما في الأمر أن لا أحد فكر بذلك من قبل؟

- ماذ تقصد بقولك؟

- لماذا ترك لورانس لكل منا خمسة وأربعين بالمئة من أسهم الشركة؟ لم يكن يرغب في تقسيم ملكية الشركة بشكل دائم، لكننا معاً نملك تسعين بالمئة من الأسهم. ألا ترين؟ لا بد أن هذا هو السبب الذي دفعه ليطلب من فينلاسون ألا يخبرنا عن شرط الاثني عشر شهراً، فهو لا يريدنا أن نتخاصم بشأن الميراث منذ البداية. لا بد أنه فكر بأن شراكتنا الطويلة الأمد ستقرب بيننا بشكل طبيعي.

- لكن... أن نتزوج؟

هزت روبي رأسها غير مصدقة، فهذا أمر خيالي، ولا يمكن حتى أن تحلم به.

- لِمَ لا؟ ما الذي سيحدث للشركة إن بقينا فيها لمدة سنة كاملة وغادرنا بعد ذلك؟ سنحصل على الأسهم التابعة لنا، لكن من سيدير العمل؟ إذا اضطررت للعودة إلى لندن، أعلم أنك تستطيعين تولي مهام الشركة بجدارة، لكن متى ستحظين بالوقت الكافي لتعملي على تصاميمك؟

تابع قائلاً: «لكن إن تزوجنا. سيتأكد أن الشركة ستبقى قائمة ومزدهرة في المستقبل، وليس هناك شخصان يتقاتلان على أسهمهما، بل

يعملان في شراكة متكاملة. هكذا قرر أن يضعنا معاً طوال تلك الفترة. قدم لنا الأسهم، والوضع المثالي، وطلب منك الاهتمام بمصلحة الموظفين، وترك الباقي علينا».

لا بد أن هذا جنون! راحت روبي تهز رأسها، مؤكدة رفضها لما يقول بكل خلية من خلايا جسمها.

- لماذا فعل لورانس ذلك؟

حتى وهي تسأل، تذكرت كلماته الأخيرة: «اعتني بزاين».

هل الزواج هو ما قصده منذ البداية؟

- عمل لورانس على بناء سلالة حاكمة ثرية، وأشرف بنفسه على بناء أكبر عمليات زرع اللؤلؤ وقطافه، لكن وريثه الوحيد تخلى عنه وغادر، لهذا لم يكن هناك أي مجال لترك المستقبل رهن الصدف. كان عليه أن يعيدني إلى هنا، ولا شك أنه فكر أنك الفتاة المناسبة لي. وربما هو لم يرَ فيك فقط المصممة التي ستقود الشركة نحو المستقبل، بل أيضاً المرأة التي ستنجب ابناً للعائلة.

- إن كان يرغب بذلك فعلاً، فلماذا لم يضع شرطاً في الوصية مفاده أن علينا الزواج لنرث؟

- لأنه كان يعلم أننا عنيدان مثله تماماً، وأننا لن نوافق مطلقاً على أمر يفرض علينا فرضاً.

تخلصت روبي من يده، وهي تعلق: «وهل أنت الآن تصدق هذه القصة الغريبة؟ لا أصدق ببساطة أنك توافق على أي شيء صنع أو دبر بواسطة والدك. في الواقع، توقعت من خلال ما تشعر به نحوه، أن تهرب لمسافة أميال من أي شيء تعتقد أنه قد يجبرك عليه».

ظهر بوضوح كيف تحركت عضلات وجهه بغضب.

- تعلمنا شيئاً ما عن بعضنا من خلال عملنا معاً. كما تقولين، لو أنني أدركت ذلك منذ البداية لكانت ردة فعلي مختلفة. لكنني الآن أفكر أن هناك وسائل أسوأ من هذه بكثير للتلاعب بي.

- لا أصدق أنك جاد في ما تقوله. هل أنت يائس بشدة لتحصل على أسهمي إلى درجة تجعلك تفكر بالفعل في الزواج بي؟

- لماذا تظنين أن الأمر يتعلق بالأسهم فقط؟

- ماذا هناك غير الأسهم بالنسبة إليك؟

ابتسم زاين بتردد، ثم اقترب منها. انعكاس الضوء، بالإضافة إلى الشوق في عينيه جعلته يبدو كقناص ينتظر فرصة للهجوم.

- هناك أنتِ.

إنها بحاجة إلى أوكسجين لتجعل عقلها يعمل، ولتدع عضلاتها تتحرك. لكن لم يكن هناك أوكسجين كاف ليمد عقلها أو جسدها بالطاقة.

- لا ألومك إن كنت لا تريدين مطلقاً رؤيتي، لكن كل ما حلمت به منذ أن غادرت برووميِ هو أن أحظى بفرصة ثانية معك، لأعوض عن تصرفي السابق، وأعاملك كما تستحقين بالفعل.

ابتلعت روبي غصة وهي تشعر بقلبها يقفز في صدرها، بينما كانت عيناه تلتهمانها. فجأة أصبحت بين ذراعيه وهو يعانقها. أعادتها ذاكرتها إلى برووميِ، إلى ذلك العناق في الفندق. شعرت بالأحاسيس والعواطف نفسها التي سيطرت عليها في تلك الليلة.

أحاطت يداه بها. شدتاها بقوة إليه، فتمسكت به وهي تشعر بضعف في جسدها.. هي تتوق إليه تماماً كما يتوق إليها، حتى إنه الآن تحدث عن الزواج بها، فهل هذا يعني أنه يحمل لها شعوراً مختلفاً بالرغم من كل شيء؟ رفع زاين ذراعيه عن كتفيها ليمسك بوجهها ويقول: «أنت رائعة! لِمَ لا نبقى معاً الليلة؟».

ارتجفت روبي من شدة تأثرها، لكنها حاولت أن تتصرف بمنطق قائلة: «عليّ الذهاب إلى قاعة الاستقبال».

أنزل زاين يده عن خدها إلى عنقها، ثم قال: «أعلم، لكنني أكره الابتعاد عنك الآن».

شعرت روبي بالدوار وهي تقطع المسافة عائدة إلى الفندق برفقة زاين. أحست كما لو أنها تطفو على الأرض. شعرت بيديه، تمسكانها وتضغطان بقوة على خصرها. مع ذلك، لا أحد ممن التقت بهم لاحظ شيئاً مما تشعر به. تشتهر فنادق كلمنجر بالهدوء الذي يسود قاعات الاستقبال فيها، لكن في هذه الساعة بدا الجو أكثر سكوناً وهدوءاً. سار زاين باتجاه جناحه، من دون أن يبتعد عنها أو يسمح ليديه بأن تخففا من شدة قبضتيه، كي لا يعطيها أية فرصة لتتراجع.

أدركت روبي أنها مشتاقة إليه، وكأن ما حدث في برووميِ مجرد بداية لكل ما لديهما من عاطفة وشوق. همس ما إن أصبحا بأمان داخل الغرفة المظلمة: «هنا يمكننا أن نحظى بالهدوء بعيداً عن أي تطفل».

وعانقها بنعومة، فشعرت روبي بشيء أعمق بكثير من الإعجاب. أهي الرغبة في الارتباط؟ هل يصدق زاين حقاً تلك النظرية المجنونة التي أخبرها بها بشأن الارتباط؟

لم يكن لديها الوقت الكافي لتفكر في الأمر، فسرعان ما قربها زاين منه ليضمها إليه في عناق محموم آخر. لم يتوقفا إلا عندما لمس قلادة عنقها. إنها واحدة من قلادات مجموعة الشغف. بدا التصميم رائعاً ببساطته وجماله. قال: «يا للجمال!».

مدّت روبي يدها إلى القلادة تتحسسها بصورة لا شعورية. فأمسك زاين بيدها وقال: «لا أفكر بك إلا واللؤلؤ يلتف حول عنقك وخصرك ومعصميك».

ابتعد عنها ليضع يده في جيب سترته ويأخذ منها حبلاً من اللؤلؤ وضعه حول عنقها، ثم تابع: «استعرته من المجموعة، وأنا أعلم أنه يجب أن يطوق عنقاً جميلاً كعنقك. إن لم يلامس اللؤلؤ البشرة يبهت لونه ويخسر إشراقه».

شعرت بأنفاسها تنقطع، فقالت بنبرة بدت غريبة حتى لأذنيها: «لبست إحدى العارضات هذا العقد الليلة».

- أعرف، لكنه يبدو مختلفاً الآن، بل هو مثالي عليك، فأنت كنزٌ من البحار.

عانقها زاين من جديد، ولم يعد للكلام أي معنى بينهما.

* * *

أطل يوم جديد. وشعرت روبي بالحماس والحيوية تملآنها وهي تقف على الشرفة الصغيرة تحدق بالمنظر أمامها وهو لم يظهر بوضوح تام بعد. فكرت في ليلة البارحة...

بدأت الألوان تتغير عبر الخليج وارتفعت أشعة الشمس فوق المدينة التي بدأت تستعيد حياتها، فتنهدت روبي. ما الذي كان ليفكر به لورانس؟ أهذا حقاً ما تمناه لهما؟ أتراه أراد أن تستمر شراكتهما وتتوطد لأكثر من مجرد أسهم في الشركة؟ هي تعلم أن لورانس يوافق على تقاربهما. شكت أن لورانس كان يعلم أنها ستقع في غرام زاين. في النهاية زاين هو ابنه، فكيف يمكن لها ألا تحبه؟

تحبه؟!

ارتجفت من برودة الطقس الصباحي، وشدت الرداء القطني حولها، لا تستطيع أن تحبه... ليس زاين... ليس بعد كل ما حدث بينهما من جفاء وشجار. مع ذلك، راح إحساس غريب يتحرك في قلبها لم تستطع تجاهله، وكأن زاين قد طبع اسمه عليه.

هو ليس ذلك الوغد الذي تصورته منذ البداية. تماماً كما افترض أنها الأسوأ بين النساء، فهي أساءت الحكم عليه أيضاً. على الأقل، الآن لديها بعض الأعذار التخفيفية لما ظنه بها من قبل. لكن هل تستطيع الوقوع في غرامه؟ أحقاً تستطيع أن تحب زاين؟

وقف زاين صامتاً يراقبها وهي تقف تحت الضوء، والشمس تضيء ملامحها الرائعة الجمال.

بماذا تراها تفكر وهي تحدق نحو الخليج؟ لماذا استيقظت باكراً؟

وكأن روبي شعرت فجأة بوجوده، فأدارت رأسها. اتسعت عيناها،

وابتسمت له تلك الابتسامة التي رآها ذلك اليوم في القارب وهي عائدة من مزرعة اللؤلؤ، تلك الابتسامة التي أراد رؤيتها من جديد، الابتسامة التي أراد أن تكون له وحده فقط. إنها رائعة جداً، لأنها تنير وجهها تماماً كما تلهب حواسه بأكملها. اقترب منها وهمس: «استيقظتِ باكراً».

ضحكت وهي تقول: «وأنت أيضاً».

ضمها إليه فذابت بين ذراعيه، وهي لا تفكر إلا بكلمتين فقط. كلمتان قادرتان على إثارة كل الألعاب النارية في المدينة، وعلى إعطائها أجمل إحساس تعيشه في يومها الجديد: أحبك، زاين!

١١ - التحدي الأكبر

خرج زاين من غرفة الحمام مرتدياً بذلة وربطة عنق، وقد حلق ذقنه وصفف شعره استعداداً للسفر إلى برووميي. مجرد النظر إليه جعل روبي تحبس أنفاسها. نظرة الود في عينيه وابتسامته الساحرة جعلتا الدماء تزغرد في عروقها. سوف يغادر الجناح في غضون خمس دقائق، مع ذلك لم يحظيا بفرصة للتكلم عما سيحدث عندما تعود إلى برووميي. قالت وهي ترشف قهوتها متمنية أن تستمد منها بعض القوة: «لم نحظَ بفرصة للتكلم».

اتسعت ابتسامة زاين، وهو ينظر إليها. تورد وجهها بسبب نظرته، وتابعت تقول: «على الأقل، أظن أننا نستطيع أن ننسى تلك الأفكار المجنونة عن الزواج الآن».

- ننسى؟! ولماذا نفعل ذلك بحق السماء؟

رمشت روبي بعينيها، وقد امتزج لديها الأمل مع الارتباك. لماذا يريد زاين الاستمرار في التخطيط للزواج إلا إذا كان...؟

إلا إذا كان يشعر بشيء ما نحوها... شيء يتخطى الاعجاب والانجذاب الحسي.

حاولت أن تضحك لتخفي التوتر الذي تشعر به. قالت: «لماذا تفكر بالأمر بهذه الجدية؟ تبدو كأنك مستعد لمواجهة مشكلة الزواج بي لتتمكن من رؤيتي بقربك».

شرب زاين فنجان قهوته برشفة واحدة، وقال: «من قال إن الزواج بك سيشكل لي أية مشكلة؟».

- زاين، كن جدياً!

- أنا كذلك، ولا أستطيع أن أفهم ما هي مشكلتك. نحن نعلم أننا مناسبان لبعضنا، فنحن نتشارك بعمل هام جداً، وعلاقتنا العاطفية أكثر من مرضية. كما أن هناك ما يجمعنا ويميزنا عن معظم الناس، إذ يبدو أننا نحظى بمباركة لورانس... معلمك الخاص، والشخص الذي أعجبت به، واعتبرته أفضل إنسان في العالم. هذا ما أراده لورانس في النهاية: أن يجعل منك زوجة ابنه، التي يمكنها إنجاب ورثة له. بالطبع أنت لا تريدين أن تخذليه.

ابتلعت روبي غصة بضيق، وفجأة أصبح فمها جافاً ومؤلماً. ما يحدث بينهما لا علاقة له بما أراده لورانس.

- حسناً! ماذا بشأن الحب؟ أليس للحب أي دور في هذا الزواج؟

قطب زاين جبينه للحظة، ثم تنهد ووضع ذراعه حول كتفيها قبل أن يقول: «ليس الحب أمراً مفروضاً وإجبارياً، إن كان هذا ما يقلقك. أنا متأكد أننا سنحظى بعاطفة مليئة بالاحترام مع الوقت. وفي الواقع، ذلك أفضل كثيراً من الحب».

شعرت روبي بالغثيان من كلماته، لكنه على الأقل أجابها عن السؤال الأهم بالنسبة إليها، فهو لا يحبها، ولن يفعل ذلك مطلقاً.

- كيف يمكنك أن تقول ذلك؟

رفع كتفيه قائلاً: «أعلم أن الحب لم يساعد أمي مطلقاً. كانت تحب والدي إلى درجة العبادة، فما الذي حصلت عليه من وراء حبها؟ خانها، وكأنها لا تكن له أية عاطفة. أحبته أكثر من أي شخص آخر، مع ذلك خان لورانس تلك الثقة وذلك الحب، واتخذ له خليلة، لذلك من الأفضل ألا يقع المرء في الحب. ربما من الأفضل أن يوفر تلك العاطفة للعلاقة الحميمة».

لامس بأصابعه قفا عنقها، وتابع: «... لا شك أننا سنحتاج إليها بعد أن نتزوج».

إن كان تعليقه الأخير محاولة منه لممازحتها والتودد إليها بعد تلك الكلمات الباردة التي تفوه بها، فقد فشل بشكل مطلق. أدارت روبي وجهها، ونهضت عن كرسيها وهي تشعر بالرعب والغثيان. ما معنى أن تسمع هذا الكلام مقابل حبها؟ ما الذي ستجنيه من حبها له إن كان هذا ما يشعر به؟ هل تحتمل الارتباط به إن كان لا يحبها، ولا يتوقع حتى أن يفعل؟ وهل سيفعل هو أيضاً ما يقول إن والده فعله؟

لا! لا يمكنها تحمل ذلك!

- أحب والدك أمك، وقد أصابه الدمار بسبب خسارتها.

- لو أنه أحبها فعلاً، لما اتخذ لنفسه خليلة، ولما سمح بأن تحظى تلك المرأة بالمكانة التي كانت لأمي.

ارتجفت روبي، وعقدت ذراعيها فوق صدرها. قوة المرارة التي يشعر بها بنت جداراً فاصلاً بينهما.

- لا أعلم لماذا نتحدث بهذا الموضوع حتى. ليس هناك من سبب يدفعنا للزواج، فليس الزواج شرطاً في الوصية.

- من الواضح أن لورانس يتوقع حدوث ذلك.

- أنت لا تعلم ذلك بشكل مؤكد. وبصراحة، أعتقد أنك مخطئ إن تصورت أن أي زواج قد ينجح إن لم يكن هناك حب يجمع الزوجين.

- لماذا؟ هل يمكنك أن تقولي بصدق إن الحب كان مفيداً في علاقة والديك؟

- أعلم أن عدم وجود الحب من ناحية والذي هو السبب الأساسي لانهيار زواجهما.

تردد زاين، ومال برأسه كأنه يقيّم أهمية كلماتها. ثم وقف وسار إلى حيث تقف، ووضع يديه على ذراعيها. قال:

- حسناً! ربما أنا متسرع قليلاً. لدينا تسعة أشهر معاً قبل أن نقدم على القيام بأي شيء، أما في الوقت الراهن، فأنت ستسافرين لمدة أسبوع. خذي الوقت الذي تريدينه، وفكري بالأمر أثناء غيابك، وعندما

تعودين سنتحدث عن الأمر ثانية.

عانقها بسرعة، واتجه نحو الباب قائلاً: «عديني أنك ستفكرين بذلك».

هزت روبي رأسها وهو يغادر. بالطبع ستفكر بالأمر، لكن ذلك لن يفيده. فهي لن تتزوج به مطلقاً، وهو يحمل هذا الحقد على والده، وهذه السخرية من الحب والزواج. ببساطة، لا ينجح الزواج إن كان أحد الزوجين لا يؤمن به.

* * *

- إذاً، أخبريني عن زاين!

رفعت روبي نظرها عن فنجان القهوة بحيرة وشك. عندما اقترحت عليها أوبال الاجتماع في شقتها للتحدث، أدركت روبي أنه لن يطول الوقت حتى تسألها عن زيارة زاين السريعة لها.

- طريقة بارعة في تغيير الموضوع، شقيقتي الكبرى. اعتقدت أننا سنتحدث عن سير الأعمال في الفندق.

ضحكت أوبال ورفعت ابنها البالغ من العمر اثني عشر شهراً لتضعه على ركبتها وتعطيه سندويشاً صغيراً ليأكله، بينما كانت شقيقته آلي تجلس بهدوء على السجادة، وهي تقلب مجموعة من الكتب.

قالت أوبال:

- أعطني فرصة، فأنا أعيش في الفندق، وأعمل فيه، وأذهب إلى النوم مساء وأنا أفكر بالفنادق. أفضل أكثر التحدث عن شاب وسيم جداً يملك جاذبية واضحة... عليك الاعتراف أن زاين شاب وسيم جداً، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار كيف ينظر إليك.

وضعت روبي فنجانها على الطاولة أمامها. لا بد أن زاين في منتصف الطريق نحو برووميي الآن، وهي غداً ستسافر إلى نيويورك. هذا هو الوقت المناسب للتفكير. تصورت أنها ستفكر بالأمر ملياً أثناء ساعات الطيران الطويلة، لكن ربما من الأفضل لها أن تتحدث مع شقيقتها عنه

أولاً. إنها مضطربة المشاعر، وهي بحاجة فعلاً إلى وجهة نظر جديدة تساعدها في حل مشكلتها.

- ما الذي تريدين معرفته بالتحديد؟

- كما تعلمين... كل الأشياء الجيدة. حدثيني عنه. ما مدى جدية الأمور بينكما، بكل الاحوال؟

شعرت روبي بوجهها يتورد، فاستدارت لتقول: «حسناً! هذا لا يعني أن هناك أي علاقة بيننا».

- لا بد أنك تمزحين! ألم تري كيف تصرف ليلة البارحة عندما وصل؟ ألم تلاحظي نظرته إلى دومينيك؟ بدا كأنه يريد تمزيقه إلى أشلاء، فقط لأنه يلمسك. من الواضح أن هذا الرجل متعلق بك كثيراً.

رشفت روبي قهوتها وهي تتذكر لحظة عرّفت الرجلين على بعضهما. هل ذلك ما جرى فعلاً؟ كانت مرتبكة بسبب ما تشعر به عندما وصل زاين. شعرت بالصدمة بالفعل بسبب إمساكه لكتفها، لكنها لاحظت الرضى يغمره بوضوح عندما أدرك أن دومينيك صهرها، وأن هذه عائلتها. حدث الكثير من الأمور التي لم تستطع تحليلها وفهمها جيداً. هل يمكن أن تكون أوبال على حق؟ هل يغار زاين عليها حقاً؟ حسناً! حتى لو كان كذلك، فهذا لا يعني أكثر من أنه معجب بها، وأنه مستعد لمواجهة أي منافس له.

تابعت أوبال، وهي تعطي غيغليلمو سندويشاً آخر: «إذاً، كيف تشعرين نحوه؟».

تنهدت روبي وأجابت بصدق: «مرتبكة».

حاولت ألا تفكر بالسعادة التي شعرت بها بقربه، وبالحيرة والضياع اللتين تبعتا ذلك.

- ليتني أعرف حقاً. في البداية لم نكن قادرين على تحمل رؤية بعضنا. كرهت كثيراً تخليه عن والده، وهو كره التقارب الذي كنت أعيشه مع لورانس. أما الآن، فأحياناً أعتقد أنه أكثر الرجال تميزاً في

العالم، لكن في أوقات أخرى...

ترددت قليلاً، ثم تابعت: «... لست متأكدة، أحياناً يبدو غاضباً جداً، ولا أعلم كيف سيتمكن من التخلص من غضبه».

- أهو غاضب منك؟

- لا! غاضب من لورانس، فهو يشعر بالمرارة بسبب وفاة أمه. يقول إن والده اتخذ له عشيقة طوال فترة زواجه، ومن الواضح أنها الصديقة الأفضل لزوجته، وهي من كانت تقود السيارة عندما وقع الحادث وتوفيت مع أمه.

اتسعت عينا أوبال وهي ترفع ابنها عن ركبتها، وتعيده إلى الأرض: «يا إلهي! وأنا التي ظننت أن عائلتنا تملك أكثر القصص غرابة على الإطلاق! لكن، أنت تعرفين لورانس جيداً، فما الذي تظنينه؟».

- لا أصدق أن لورانس الذي أعرفه يمكن أن يخون ثقة زوجته على هذا النحو.

- إذاً، الأمر سهل جداً. عليك أن تقنعي زاين بذلك.

بالطبع، سهل جداً! فكرت روبي بذلك وهي تراقب غيغليلمو يحبو بسعادة نحو شقيقته، ثم يربض قربها ويمسك بكتاب. ابتسمت عندما أخذته ابنة أختها من يده، لتضعه فيها ثانية بالطريقة الصحيحة، وقبل أن يبدأ بالصراخ.

من الواضح أن شقيقتيها حصلتا على كل ما تريدانه: عملاً جيداً لكل منهما، وزوجين فاتنين، هما أيضاً شريكي روحيهما، وفوق ذلك كله، أصبح لكل منهما عائلة رائعة. هذا الصباح بالذات سمعت روبي الأخبار الرائعة عن شقيقتها صافي التي تنتظر توأمين.

- غيغليلمو فتى رائع الجمال. لا بد أنه سيبدو وسيماً كدومينيك عندما يصبح شاباً، وسوف يجذب أنظار النساء، كما أن آلي أيضاً رائعة. ولداك مميزان حقاً.

أبعدت أوبال انتباهها عن طفليها، ونظرت مباشرة إلى عيني روبي

وهي تقول: «أتعلمين؟ أنت وزاين أيضاً ستنجبان أطفالاً رائعين».

نظرت روبي إليها بتعجب، وفكرت: «أطفال؟!».

ثم فكرت بهدوء، كم سيكون رائعاً أن تتزوج بزاين وتنجب منه أطفالاً صغاراً، لتبني عائلة كبيرة حقاً، تعوض له عن كل ما فقده! لكن هذا كله مجرد خيال... تنهدت روبي، وعلمت أنه لا يجدر بها ذكر ذلك لشقيقتها، لكنها بحاجة إلى من تثق به وتخبره عما يؤلمها: «زاين طلب يدي للزواج».

- آه... روبي! هذا رائع!

اقتربت أوبال منها، وضمتها إليها وهي تتابع: «أطيب التمنيات لكما! متى ستخبرين أمي؟».

هزت روبي رأسها، وأجابت: «أجبته أنني لم أقرر بعد».

جلست أوبال قربها من جديد. سألتها وهي تشعر بالذهول:

- لكن... لماذا بحق السماء؟ أقصد... أنت تحبينه. أليس كذلك؟.

حدقت روبي بشقيقتها، وسألتها: «هل هذا واضح جداً؟».

- هيا، اعترفي! ليس زاين وحده الذي يظهر عاطفته. ألا ترين كيف تنظرين إليه؟ عندما أصبحتما معاً بدوتما كأنكما لا تريان أحداً غيركما في القاعة.

- ربما، لكنه مجرد انجذاب، وليس هناك أي شيء آخر حتى الآن. زاين لا يحبني. اعترف لي بذلك. هو يعتقد أننا في نهاية الأمر سنشكل رابطاً قوياً من الاحترام بيننا. لا أعتقد أنني أستطيع القيام بذلك. لا أستطيع أن أتزوج رجلاً أحبه، وأنا أعلم أنه لا يحبني بدوره، فأنا لا أرضى بأنصاف الحلول. لاحظي ما حدث لأمي، تعذبت كثيراً لأنها أحبت كثيراً.

رفعت أوبال يد أختها، وربتت عليها، ثم قالت وكأنها شبه متأكدة: «هاي! أين إيمانك؟ زاين يحبك. أنا متأكدة من ذلك. لكن هؤلاء

الرجال يحتاجون أحياناً إلى مزيد من الوقت ليعترفوا بحبهم. ربما هو نفسه لم يدرك ذلك بعد».

* * *

حاول زاين أن ينام أثناء رحلة عودته إلى برووميي، فهو لم يحظَ بكثير من النوم ليلة البارحة. تنهد وهو يتمدد على مقعده الواسع في الطائرة. مجرد التفكير بروبي يبعد عنه النوم نهائياً. إنها رائعة ومثالية، وهو سيمضي أسبوعاً كأنه في الجحيم بعيداً عنها، منتظراً عودتها. ربما كان عليه مرافقتها وترك العمل في برووميي على عاتق الموظفين هناك، فلربما خفف ذلك من توترها وغضبها. لكن لماذا تشعر بهذا الغضب والتوتر؟ ألا تستطيع أن تفهم أن زواجهما أمر منطقي جداً؟ من الواضح أن لورانس فكر بذلك منذ البداية، فهذه هي الطريقة المثلى ليقحم الفتاة الشابة في العمل حتى النهاية. أي طريقة أفضل من هذه ليعيد ابنه إلى البلاد، ويبقيه هناك؟ سمح زاين لنفسه بالابتسام. ففكرة قضاء حياة بأكملها مع روبي أمر ممتع حقاً. هذا بالطبع لن يعوض عما فعله لورانس مع أمه، لكن من المؤكد أن عليه الاعتراف بحكمة الرجل العجوز، فهذه خطة محكمة للغاية. الآن كل ما عليه فعله هو إقناع روبي بالموافقة عليها.

لا بد أنها ستوافق في النهاية.

* * *

هل يمكن أن تكون أوبال على حق؟ كادت روبي تصاب بالجنون وهي تفكر بهذا السؤال مراراً وتكراراً في الأيام القليلة التالية. إنها متأكدة من أمرين فقط: أولاً، أنها تحب زاين، وثانياً، أنها ستشعر بسعادة لا توصف بأن تمضي ما تبقى من حياتها معه إذا ما تأكدت أنه سيبادل حبها حباً، ولن يضيعه سدى.

لكن ماذا لو كانت أوبال على حق، وهو يحبها الآن؟ ما هي فرص نجاح حبهما؟ ماذا لو أقدمت على الزواج به وهو لا يحبها، ولم يتمكن

مطلقاً من مبادلتها ذلك الحب؟ هل تستطيع تحمل المخاطرة؟ هل عليها أن تفعل؟

أخيراً جاءتها الإجابة على لسان إحدى المذيعات في لندن، وهي تجري معها مقابلة تلفزيونية. إنها سونيا كلارك ملكة برامج التلفزيون الصباحية، وواحدة من أكبر المعجبين بتصاميمها. اليوم ستوقع روبي على تسليم طوق من اللؤلؤ الفضي والأبيض مع قرطين مناسبين له طلبتها سونيا خصيصاً من مجموعة روبي السابقة. إنه الموعد الأول بين عدة مواعيد لهذا اليوم الطويل، قبل أن تغادر الليلة في ساعة متأخرة من مطار هيثرو عائدة إلى بروومي. هكذا ستتمكن من الوصول قبل يوم واحد من موعد عودتها المرتقبة، وذلك بسبب اختلاف مواعيد إقلاع وهبوط الطائرات. دفعها ذلك لإجراء تغييرات جذرية في برنامج عملها، لكنها تمكنت من القيام بكل ما عليها القيام به.

جرت المقابلة بطريقة ودية ولطيفة، وسرّت روبي لمعرفة سونيا الواضحة بصناعة الأحجار الكريمة واللؤلؤ بشكل خاص. سألتها سونيا لماذا تعتقد أن تصاميمها ناجحة جداً، ومنتشرة في كل أرجاء العالم. فردت أنها كانت محظوظة جداً لأنها تمكنت من العمل مع أجمل اللآلئ في العالم كله، كما أنها حظيت بالكثير من الدعم من لورانس الذي شجعها لتضع قلبها في عملها. في تلك اللحظة قالت لها سونيا: «إن كنت لا تمانعين، أنا أعتقد أن نجاحك يعود أيضاً، وبدرجة كبيرة، إلى قدرتك على المخاطرة في العمل. مجموعة الشغف هي دليل واضح على ما أقوله. من يتخيل أن مصممة مجوهرات شابة يمكنها أن تكون بمثل هذه المهارة وهذا الاحساس المرهف لتصميم «عناق المحبين»؟ الواضح أنك حققت ذلك لأنك قادرة على مواجهة المخاطر، وما كنت لتفعلي ذلك لولا حبك للتحدي».

حدقت روبي بذهول بالمرأة الأخرى، ثم تمتمت ببضع كلمات كجواب لها. بطريقة ما تمكنت من تكملة ما تبقى من المقابلة، لكنها لم

تستطع أن تبعد تلك الكلمات من رأسها، «إنها قادرة على مواجهة المخاطر». هذا صحيح، فهي تتحمل الكثير من المخاطرة في تصاميمها، وربما حان الوقت لتخاطر من أجل زاين!

* * *

سارت روبي على طريق الإسفلت في المطار الدولي في بروومي. شعرت بالحرارة المألوفة لديها تلفها كأنها عناق حميم: «عناق المحبين». لم تشعر يوماً في بروومي بمثل هذا الحماس. هي لا تستطيع الانتظار حتى تفاجئ زاين. إنه يوم الأحد، ومن المحتمل أنه في المنزل. لن تنتظر حتى تذهب إلى غرفتها في الفندق لتستحم وتبدل ثيابها. ستذهب مباشرة إليه.

أوقف سائق سيارة الأجرة سيارته في الطريق الفرعية، وساعدها في حمل حقيبتها من صندوق السيارة. ما كاد الرجل ينطلق، حتى بدأ كيوتو بهبوط الدرج بسرعة وركبتاه الضعيفتان لا تساعدانه على النزول بشكل سليم ومريح.

- آنسة روبي! آنسة روبي!

إنه لا يرحب بها بهذه الطريقة عادة عندما تعود إلى المنزل. سألته: «كيوتو، ما الأمر؟».

لم يتسنى الوقت لكيوتو كي يجيب، إذ ظهرت على الشرفة امرأة بكامل أناقتها وجمالها الفاتن، واضعة يداً بكل لباقة على الدرابزين ورافعة الأخرى اتقاء لحرارة الشمس.

- إذاً أنت روبي. لكن، ألم تعودي باكراً؟ قال لي زاين إن لدينا فرصة حتى الغد.

١٢ - حبيبة أخرى

تحول دم روبي إلى جليد يمزق لحمها، هذه المرأة الجميلة التي تشبه زنبقة بيضاء طويلة هي ذات ملامح أرستقراطية، أما ثيابها فهي غاية في الأناقة. من الواضح أنها ليست مجرد صديقة قديمة لزاين. وإذا كان الانتفاخ تحت ثوبها الحريري يعطي أي دليل، فلا بد أنها حامل.

شعرت روبي بالغثيان. آه، يا إلهي! أهي حامل بطفل زاين؟

لا عجب أنه لم يناقشها، ولم يصر على مرافقتها في الرحلة عبر البحار. هل خطط زاين لدعوة عشيقته إلى هنا أثناء غيابها بعد ذلك الحديث عن الزواج؟ قالت: «لا بد أنك إنيليزا».

نظرت إلى كيوتو الذي بدا مرتبكاً ومنزعجاً في آن معاً، وسألته: «أين زاين؟».

دندنت إنيليزا وهي لا تزال على الشرفة: «ذهب إلى المكتب. قال إن لديه عملاً عليه القيام به، لكنني متأكدة أنه ذهب ليحضر لي بعض الحلى الجميلة. إنه لطيف جداً بشأن هذه الأمور. سيعود بعد الظهر. هل أخبره أنك أتيت إلى هنا؟».

تجاهلتها روبي كلياً، وحاولت أكثر أن تتجاهل فكرة أن إنيليزا ستضع مجوهرات من تصميمها. قالت، محاولة أن تحافظ على اتزانها: «كيوتو! ما الذي يجري هنا؟».

- آسف، آنسة روبي. طلب منها أن ترحل قبل أن تعودي.

همست روبي كأنها تحدث نفسها: «أراهن أنه فعل».

دندنت إنيليزا: «لا بأس، كيوتو! إنه لأمر محتم أن نلتقي في وقت ما، لاسيما أن لدينا قاسماً مشتركاً هو زاين».

إن اعتقدت روبي أن إنيليزا بدت فاتنة وهي تقف على الشرفة، فهذا لا شيء مقارنة بما هي عليه عن قرب. هي ذات قامة رشيقة وأطراف طويلة مع بشرة شفافة رقيقة وشعر فضي يعطيها ملامح خيالية. نظرت إنيليزا إلى حقائب روبي، وقطبت جبينها، ثم سألتها: «هل كنت تتوقعين أن يقلك زاين إلى مكان ما؟».

زفرت روبي أنفاسها من بين أسنانها. في الواقع، لا! لكن لا مجال مطلقاً لتمضي النهار هنا اليوم. قالت: «أجل. فقط إلى الفندق حيث ستتحدث بالأعمال، لكنني سأطلب سيارة أجرة».

نظر كيوتو إليها معتذراً، وانحنى قليلاً قائلاً: «سأفعل ذلك بنفسي».

ثم توجه نحو المنزل.

وضعت إنيليزا يدها على جبهتها، وقالت: «الحرارة قوية جداً تحت الشمس. أشعر بالدوار».

قطبت روبي جبينها وهي تراقب إنيليزا تجلس على الأرجوحة المغطاة بستارة، وتضع يدها ذات الأظافر المطلية على معدتها.

حسناً! ذلك الحديث عن إرادة لورانس لا معنى له مطلقاً، فزاين لا يهتم لما يريده لورانس، ولم يفعل ذلك يوماً. كل ما يهمه هو حقه الشرعي بالميراث، وهو مستعد للقيام بأي شيء ليفقدها السيطرة على الشركة، حتى الزواج بها. سيحصل على أسهمه وعليها أيضاً. أية حمقاء هي بالفعل!

تذمرت إنيليزا وهي تلوح بيدها أمام وجهها: «أنا حقاً لا أعلم كيف تتحملون هذه الحرارة المخيفة. اعتقدت أنه فصل الشتاء هنا».

فكرت روبي أن النهار دافئ، لكنه غير مزعج أبداً. قالت: «إنه فصل الشتاء، لكننا هنا ندعوه فصل الجفاف».

- إذاً كلما أسرع زاين بالعودة إلى لندن كلما كان ذلك أفضل. لا أعتقد أنني أستطيع تحمل هذا الطقس أكثر من ذلك. لديه منزل جميل جداً في تشلسي. يجب أن تزورينا هناك في وقت ما.

ضاقت أنفاس روبي أكثر فأكثر، فالحديث مع السيدة يزيدها انزعاجاً

مع كل لحظة تمر.

- متى تعتقدين أن ذلك سيحدث؟

- لست متأكدة بالتحديد. ما إن ينتهي من بعض المشاكل في الأسهم أو... أشياء من هذا القبيل.

أصغت روبي بقوة إلى كلام المرأة، ثم سألتها: «أية مشاكل؟».

رفعت إنيليزا كتفيها.

- من الواضح أنها أمور تتعلق بمشاكل تركها له والده. لا أعرف التفاصيل، لكن كل ما في الأمر أنها تبقيه هنا فترة أطول مما يرغب.

لم تقل روبي شيئاً، في حين أن ما أرادت القيام به هو الصراخ، أو ضرب أحدهم... وهو بالطبع زاين!

ما الذي قصده من ذلك الكلام الذي تفوه به عن إدارة العمل معاً في المستقبل؟ وما ذلك الكلام التافه عن الزواج؟ أهذه طريقة مبتكرة تجعله يتزوج من امرأة يعلم أنه يستطيع الوثوق بها في إدارة الشركة، وتعطيه الفرصة للسفر إلى أوروبا حيث تنتظره صديقته الشقراء كلما شعر بالشوق إليها؟ أم أن هذه هي الطريقة المثلى للانتقام من والده بالزواج من الفتاة التي اعتنى بها كابنته، وهكذا يستلم زمام الشركة من دون أن ينفق درهماً واحداً؟

شعرت بوخز الدموع في عينيها من شدة المرارة، تباً له! آخر شيء يمكن أن تسمح لنفسها بالقيام به هو البكاء أمام صديقته.

فرحت لدى رؤية سيارة الأجرة، وسمعت صوت إنيليزا تقول وهي على الأرجوحة: «أسعدني جداً لقاؤك».

أسرعت روبي، فرمت بنفسها وبحقيبتها داخل السيارة، لتسرع في الرحيل.

* * *

- هل حزمت حقائبك؟

تمنى زاين أن تكون قد فعلت ذلك، فهو ليس بمزاج يسمح له بتحمل المزيد من ألاعيب إنيليزا ومحاولاتها للبقاء هنا. هو في الواقع ليس

بمزاج يسمح له بتحمل إنيليزا كلها. أبعد نفسه إلى المكتب لساعات اليوم كي يتخلص من محاولاتها اللطيفة لإقناعه ببقائها هنا. كورت إنيليزا شفتيها، وتمددت بدلال على الأرجوحة، ما جعلها تتحرك بلطف.

- هل علي الذهاب الآن حقاً؟ إنها رحلة طويلة جداً.

- كان عليك التفكير بذلك قبل أن تدعي نفسك للقدوم إلى هنا. ستسافرين على متن تلك الطائرة اليوم.

وقبل عودة روبي!

مرتان حتى الآن، اعتقد أنه وروبي وصلا إلى مرحلة انسجام تام. اعتقد أنها أصبحت متعلقة به كما هو متعلق بها، ليقدم بعدئذٍ على عمل ما أو يقول كلمات غبية تجعلها تبتعد متعمدة عنه. ليس مستعداً للمخاطرة بحدوث ذلك من جديد، وإنيليزا بالطبع ستكون من أكبر الأخطاء الفادحة له.

- لكن في وضعي هذا...

- كان عليك التفكير بذلك أيضاً.

كورت فمها أكثر، وبدت مرتبكة وهي تقول: «كنت لطيفاً جداً معي في لندن. اعتقدت أنك تهتم لأمري».

- كنت بحاجة إلى المساعدة، وقدمت لك تلك المساعدة. كنت لأفعل الأمر نفسه مع أي صديق قديم لي.

لكنه الآن يتمنى لو أنه لم يفعل.

- أين هي حقائبك؟

- أتتك زائرة عندما كنت في الخارج.

- آه!

علق بذلك وهو غير مهتم لما يسمعه، فكل ما يهمه هو الانتهاء من هذه المشكلة، والاعتراف لروبي أن إنيليزا أتت إلى هنا. لكن عليه أن يختار الوقت المناسب، فيما لديه الكثير من الأمور التي عليه إنهاؤها أولاً. رفع غطاء صندوق السيارة، ونظر نحو المنزل، متوقعاً أن يرى

كيوتو خلفه حاملاً حقائبها.

- فكرت أن لا داعي للعجلة في رحيلي في النهاية. أقصد، الآن بعد أن قابلتها فعلياً.

- قابلت... من؟

- صديقتك الصغيرة روبي، بالطبع.

شعر زاين بألم يخترق أحشاءه.

- هل جاءت روبي إلى هنا؟

ضحكت إنيليزا، وفي تلك اللحظة فكر زاين أنه لم يسمع مرة صوتاً كريهاً كصوتها أو حتى كره شخصاً بمقدار كرهه لها، وهو الذي شعر بالأسف نحوها في لندن.

- إنها جميلة حقاً!

أغلق صندوق السيارة على الفور. صرخ وهو يتجه نحو المنزل: «كيوتو! كيوتو!».

- لكنها بدت منزعجة بسبب أمر ما.

استدار، وهو غير قادر على معرفة إن كان يجب عليه أن يعلم، وإن كان سيحتمل الجواب إن علم.

- ما الذي قلته لها؟

نهضت إنيليزا عن الأرجوحة، وسارت نحوه.

- آه! لا شيء بالتحديد. لا شيء لم تقله لي في لندن. فقط كيف كنت تخطط للعودة بعد أن تنهي مشاكل العمل هنا... مشاكل الأسهم.

يا إلهي! بإمكانه أن يتخيل كيف ستفسر روبي اعترافات كهذه.

- قلت إنني إن عدت إلى لندن، فلن يحدث ذلك إلا بعد مضي وقت ما.

رفعت كتفيها ونظرت إليه ببراءة، ثم علقت: «أليس ما قلته يحمل المعنى نفسه».

تجاهلها زاين كلياً. فهو منشغل بتقليل قيمة الخراب الذي سببته

إنيليزا، ولا شك لديه أن تعليقاتها اللاذعة محسوبة بدقة، لكنها لا تملك أية فكرة عن السموم التي تحتويها، صرخ قبل أن يكمل سيره: «كيوتو! بإمكان كيوتو أن يطلب لك سيارة أجرة. أريدك بعيداً من هنا الآن، ولا أريد أن أجدك هنا عندما أعود».

- لكنك علمت أنني قادمة. اتصلت بك عندما حجزت بطاقة السفر.

- وأنا طلبت منك أن تلغي سفرك.

سألته بنبرة صوت تخالجها الدموع، مع أن دموعها لا تؤثر به مطلقاً: «إلى أين أنت ذاهب؟».

- إلى أين تظنين أنني سأذهب؟ سأحاول أن أصلح بعض الخراب الذي سببته.

دخل زاين إلى المنزل البارد، فبدا له مظلماً بعد أشعة الشمس الساطعة في الخارج. أين هو ذلك الرجل؟

- أنت تحبها. أليس كذلك؟

بدت إنيليزا غاضبة، فمحاولتها للتأثير عليه بالبكاء باءت بالفشل كما هو واضح. للحظة كاد يصرخ بها أنها مخطئة، تماماً كما هي مخطئة بالتفكير بأن هناك أي أمل في إعادة العلاقة القديمة بينهما، لكن فجأة شعر زاين وكأن صدمة أصابته. لا يستطيع أن يقول لها ذلك. لأول مرة في حياتها تنطق إنيليزا بالحقيقة. إنها على حق!

الألم والغضب من كشف هذه الحقيقة امتزجا معاً. كيف تراه لم يدرك ذلك حتى الآن؟ كيف تراه لم ينتبه لأمر بمثل هذا الوضوح؟ دخل إلى المطبخ كالعاصفة، فيما أفكاره تتصارع بقوة، وقلبه مصدوم. هناك وجد كيوتو!

١٣ - بين ذكرى ودموع

بدا لروبي أن شاطئ كايبل يمتد إلى ما لا نهاية، فرماله البيضاء لا نهاية لها، والبحر الفيروزي الرائع لا حدود له إلا السماء. راودها شعور بأنها إن استمرت في السير سوف تختفي هي أيضاً في المسافات الواسعة. راحت الرمال تتطاير حول قدميها وتلتصق بوجهها، لكنها - على العكس من الذين اتجهوا إلى المنتجع عندما اشتدت قوة الرياح - لم تحاول مطلقاً أن تختبئ من الريح. تورمت عيناها واحمرتا، لكنها لم تهرب. وحدهم الناس يسيئون الدمار الحقيقي، ويتسببون بأسوأ الجراح.

سارت لمسافة أطول نحو الشاطئ المهجور، وهي تمسك حذاءها بيدها، فيما قدماها تغطسان في الرمال. لم تدرِ كم من الوقت بقيت تسير، فهي حقاً لا تهتم. ماذا يمكنها أن تفعل غير ذلك؟ فقد جافاها النوم. استلقت لمدة ساعة في سريرها، تبحث عن السلام الذي لا يوفره لها سوى النوم العميق، لكن دون جدوى. هكذا بدأت بالسير، واستمرت على هذا المنوال حتى رأت الشمس تنحني باتجاه المحيط، عندها استدارت واتجهت نحو المنتجع.

لاحظت على الفور زر الرسائل على هاتفها مضاء. كما أن هاتفها بدأ يرن ما إن دخلت. تركته يرن حتى توقف من تلقاء نفسه. إن كان ذلك زاين، فهي لا تريد التحدث إليه. نزعت عنها ثيابها، ثم وقفت تحت رذاذ المياه الحارة لمدة طويلة، تاركة المياه تغسل آثار الدموع عن وجهها، متمنية لو أنها تستطيع أن تغسل الآثار المريرة المطبوعة في قلبها بالسهولة ذاتها.

بعد مرور عدة دقائق، سمعت ضجة ما. هناك شخص ما يضرب بقبضته بابها. حسناً! ما من داع لتفتح الباب كي تعلم من الطارق. لاشك

أنه زاين. ربما إن بقيت هادئة، سيسأم في نهاية الأمر ويرحل. أوقفت انهمار المياه، ولفت جسمها بالمنشفة. سمعته يصرخ: «روبي! افتحي الباب». وضعت يديها فوق أذنيها، وفكرت في أن تفتح المياه مجدداً:

- روبي!

- ارحل من هنا. لا أريد التحدث إليك.

- عليك أن تأتي. إنه كيوتو... هو في المستشفى وقد أصيب بالاغماء.

* * *

سألته وهي تضع حزام الأمان حول خصرها، متعمدة أن تبعد نظرها عنه: «ما الذي حدث؟». وضع زاين ذراعه على ظهر مقعدها، وقال: «روبي، علينا أن نتحدث».

- لا! حدثني... عن كيوتو فقط.

- لكن...!

استدارت روبي، وضربته بكل ما لديها من قوة بعينيها الحزينتين: «سنذهب إلى المستشفى فقط!».

الحزن الذي بدا ظاهراً بوضوح في أعماق عينيها جعله يشعر بضيق في صدره، لكنه أدار محرك السيارة وانطلق. علم زاين أن ليس من السهل تصحيح ما حدث.

- وجدته مرمياً على أرض المطبخ. الأطباء يعاينونه الآن. ربما هو قلبه أو أي شيء آخر، فهو عجوز جداً، ووضعه دقيق، لذلك فكرت أنك يجب أن تعلمي بالأمر.

نظر نحوها، وتابع: «أحاول الاتصال بك منذ ساعات. أين كنتِ؟».

أجابت روبي بصراحة: «ذهبت للسير على الشاطئ».

قال: «آسف، روبي!».

أجابت وهي تدير رأسها لتنظر إلى خارج السيارة: «لا أريد التحدث عن الأمر».

* * *

ما زال الوقت مبكراً جداً لتعود إلى هذا المكان، ولتمسك بيد رجل آخر على فراش الموت. بالكاد رأت كيوتو خلال الأسابيع الماضية، إذ كانت منشغلة جداً بالأحداث التي تجري معها.

شخص ما وضع يداً لطيفة على كتفها: «يجب أن تغادري الآن».

تركت نفسها تقاد خارج الغرفة، وهي تشعر بخدر مبارك يحيط بها. ربما هذا ما يحدث عندما يتعرض المرء لكثير من الصدمات العاطفية. نظرت إلى زاين نظرة واحدة وهو واقف في الممر بانتظارها، فشعرت بالألم من جديد، وكأن هناك جرحاً بدأ بالنزف في أعماقها. تنفست بعمق. عليها الآن أن تركز أفكارها على كيوتو، وأن تفكر بإيجابية بشأنه. همست: «هل سينجو؟».

لم يظهر أي تطمين في نبرة صوته وهو يجيب: «إنه عجوز جداً، وربما ليس هناك ما يستطيعون القيام به من أجله».

امتلأت عيناها بالدموع، مانعة عنها الرؤية: «منذ فترة رحل لورانس، والآن ربما كيوتو أيضاً».

عضت على شفتيها، ونظرت إلى الأرض. تمكنت بطريقة ما أن تتلفظ بالكلمات قائلة: «شكراً لك لأنك أحضرتني لرؤيته».

قال زاين من دون أن يلمسها: «هيا! سأقلك إلى المنزل».

* * *

أوقف زاين السيارة في الطريق الفرعية التي تعرفها جيداً، فقالت: «لا! قلت إنك ستأخذني إلى المنزل. أريد الذهاب إلى منزلي».

قال زاين: «يجب أن نتحدث».

- قلت لك إنني لا أريد التحدث إليك. كيف يمكنك أن تحضرني إلى هنا؟ لن أدخل إلى هناك، وأنا أعلم أنها في الداخل.

- إنيليزا رحلت.

- وهل يسوي رحيلها كل شيء؟ هل غادرت العشيقة الأوروبية، وحان وقت العشيقة من بروومي لتأخذ مكانها؟ لا أريد الدخول إلى المنزل، ولا أريد التحدث بالأمر.

- ليست الأمور في الحقيقة كما هي في الظاهر.

- حسناً! لكنني أعلم وبشكل مؤكد أنها ليست مجرد صديقة قديمة، كما قلت لي.

تنهد زاين قائلاً: «أعلم. وأنا آسف! كان عليّ أن أخبرك من قبل. كانت هناك علاقة عاطفية بيننا، لكنها انتهت بسرعة. لم تبد لي أمراً هاماً للتحدث بشأنه».

- ووجود الطفل... أليس هاماً أيضاً؟

- لا يمكن أن تصدقي أنه ابني!

- لِمَ لا؟ أنت أمضيت وقتاً معها في لندن، ثم تركتني أرحل بمفردي في جولة عبر البحار لتتمكن من تمضية بعض الوقت معها هنا. لسوء حظكما معاً، رجعت إلى بروومي قبل يوم من الموعد المقرر. لا بد أنها غضبت كثيراً لاضطرارها إلى السفر الليلة.

- أتعتقدين أنني كنت لأدعها ترحل لو أنها حامل بطفلي؟ أي نوع من المخلوقات تظنينني؟

- مخلوق قادر على القيام بأي شيء ليحصل على الميراث الذي يعتقد أنه سرق منه.

تنهد زاين تنهيدة طويلة مليئة بالألم، ثم قال: «روبي! يمكنني أن أوضح لك كل شيء. أعطيني فرصة فقط. هيا! ادخلي، فنحن بحاجة إلى شرب فنجان من القهوة، أو أي شيء آخر بعد تلك الساعات العصيبة. كما أنهم قد يتصلون من المستشفى.

- لديك هاتف نقال.

- لكنه بحاجة إلى الشحن بالطاقة، وأنا لا أريد أن أفقد الاتصال مع المستشفى.

جلست روبي على أحد المقاعد الواسعة في غرفة الجلوس. قدم لها زاين فنجان القهوة، ولامست يده يدها فارتجفت. حدق إليها بقوة، وسألها: «أتشعرين بالبرد؟».

كذبت قائلة: «أجل، لكن القهوة ستساعدني».

قال زاين: «ربما يعود السبب إلى الصدمة التي تلقيتها، ولأنك تعانين من شدة التعب».

قالت راغبة في إبعاد الحديث عنها: «قلت إنك ستوضح كل شيء، لذا ربما من الأفضل أن تبدأ».

نظر إليها بهدوء، ثم تنهد وجلس قبالتها، واضعاً فنجانه على الطاولة بينهما: «قابلت إنيليزا في حفلة عشاء، وشعرت بالانجذاب نحوها. تواعدنا لمرات عدة، لكن بعد فترة قصيرة اكتشفت أن ليس هناك أي شيء تحت جمال مظهرها، وأنها هشة جداً، كما أنها مهووسة بالتملك. عندما قطعت علاقتي بها غضبت مني، لكن سرعان ما أصبح لديها صديق. بعد فترة قصيرة تزوجت به، وسافرت معه».

- لكنك رأيتها في لندن!

- ما إن علمت بوجودي في لندن حتى لجأت إلي وهي يائسة جداً. اكتشفت أنها حامل، وقد تخلى عنها زوجها. وجدت لها محللاً نفسياً وعيادة لتمكث فيها، وتفكر بما ستفعله. لم أدرك أن مساعدتي لها ستجعلها تعتقد أنني ما زلت أهتم بها حتى وصلت إلى هنا البارحة.

- أنت تتحدث عنها وكأنها مطاردة مجنونة.

- هذا ما أقصده بالتحديد.

مال برأسه نحوها قائلاً: «يبدو أن لدينا شيئاً مشتركاً. ألا تعتقدين ذلك؟».

رمشت روبي بعينيها، ولم تجب، فيما تابع زاين يقول: «لكن على العكس من حالتك أنت، فهي لم تسبب لي أي أذى جسدي، بل كانت مصدر إزعاج فقط. لم أشعر بالخوف منها إلا اليوم، عندما علمت أنك أتيت باكراً إلى المنزل والتقيت بها. إنها طفيلية، روبي، وأنا آسف لأنك مررت بأوقات عصيبة بسببها. آسف لأنني سببت لك الألم. هل هناك أية فرصة لمسامحتي؟».

بدا قلقاً أكثر من أية مرة شاهدته فيها. فخطوط وجهه بدت متوترة.

قالت: «لا أهمية للأمر، فليست إنيليزا هي المشكلة. قد تكون أية

امرأة أخرى. الأمر يفوق مسألة أن تكون لك خليلة، فأنا لا أستطيع أن أثق بك بسبب الأشياء التي أخبرتني بها».

قفز زاين على قدميه، قائلاً: «إنها كاذبة».

- ربما! لكن ما قالته صحيح. ما يهمك هو الأسهم، وأنت ستفعل أي شيء لتتمكن من الحصول عليها.

- هذا غير صحيح.

بدا ضخماً جداً وهو ينحني فوقها ويبدو مسيطراً على المكان. نهضت روبي وسارت مبتعدة، شابكة ذراعيها على صدرها.

- أخبرتها عن الأسهم عندما كنت في لندن، وقلت لها إنك تخطط للعودة إلى هناك عندما تحل مشكلة الأسهم. أنا هي المشكلة. أليس كذلك؟ أخيراً توصلت إلى حل بهذا الشأن: تتزوج بي، وحينها ستتمكن من إدارة كل شيء. بعدئذٍ يمكنك أن تحصل على أي امرأة ترغب بها.

- لا! إنيليزا أرادت مضايقتك. لا تدعي سمومها تصلك. قالت تلك الأمور لأنها تغار منك.

- ولماذا عليها أن تشعر بالغيرة مني؟ هي لا تعرفني.

- هي تعرفك لأنني تحدثت عنك في لندن. أمضيت عدة ساعات قرب سريرها في العيادة. أخبرتها عن بروومي وعن تصاميمك. من الواضح أنها رأتك مصدر تهديد لها، ثم... ليس هذا هو السبب الوحيد الذي دفعها لإيذائك.

- ماذا هناك أيضاً؟

اقترب زاين منها أكثر، وراحت عيناه تحدقان بها بقوة. قال: «لأنها أدركت أمراً كنت غبياً جداً ولم أدركه بنفسي. إنه السبب الذي جعلني أرغب بأن أمضي حياتي كلها معك، وأطلب يدك للزواج».

مدّ يده ليمسك بيديها وليضغط عليهما بلطف وحنان، وهو يقول: «لأنني أحبك».

١٤ - وداعاً أيتها الأحزان!

راقب زاين تصارع العواطف في عينيها الزرقاوين، كأنها عواصف في فصل المطر. أمل أن يكون أخيراً قد قام بالأمر الصحيح، وقال ما يشعر به نحوها. سحبت روبي يديها من يديه، وقالت: «آه، لا!».

رمش بعينيه غير مصدق. لا بد أنه لم يسمعها بطريقة صحيحة.

- ما هذا؟ أهو الفصل الأخير من روايتك الخارقة: «الزواج من امرأة ثرية»؟ آسفة، زاين. أسلوبك هذا لن ينجح. سئمت من الكذب. سئمت من الخداع والخيانة. وسئمت من عدم إمكانية الثقة بك، وادعاؤك بأنك تحبني لن يساعدك.

- أنا لا أكذب. لماذا لا تستطيعين رؤية ذلك؟ أنا أحبك حقاً!

- ما أراه هو أن السبب الوحيد الذي يدفعك للزواج بي هو الحصول على أسهمي التي لم تستطع شراءها، فهكذا تستطيع السيطرة عليها مع أسهمك. بهذه الطريقة ستتمكن من الانتقام من والدك لأنه خدعك، ومن المحتمل أن تجد أن الانتقام المناسب هو بأن تعيش حياتك بالطريقة التي تتهم والدك بها.

- أردت الزواج بك لأنني أريد أن أكون معك. أريد أن أمضي حياتي كلها معك. اتركي والدي بعيداً عن هذا، فلا علاقة له بما يجري بيننا.

- والدك هو السبب الرئيسي لوجودي هنا. لولاه لرحلت منذ زمن بعيد، فوالدك كان رجلاً صالحاً بل مميزاً جداً. ربما كان قاسياً في بعض الأوقات، لكنه كان صاحب مبادئ عالية، لكنك لا تستطيع رؤية ذلك، وهذا يؤثر على حكمك على الأمور تماماً كما يؤثر على شخصيتك. عليّ

أن أخبرك، أنك لست نقطة من بحر لورانس، ولست كنصف الرجل الذي كانه.

اندفعت الدماء في عروقه، وأخذت تضج بقوة في رأسه. ولم يعد يستطيع أن يرى إلا الغضب الحاقد. لم يفكر مرة أنه مثالي، لكن أن يقارن بوالده؟! ربما حان الوقت لتعرف روبي المزيد من الحقائق.

- هل تعتقدين أن والدي كان مثالياً، ولا يمكن لأحد أن يشبهه؟

نظرت روبي إليه مشككة للحظة، وهي تقول: «كان لورانس دائماً يتصرف بنزاهة. وكنت أستطيع الوثوق به دائماً».

- إذاً، ألقي نظرة على هذه!

سحب زاين عن رف الموقد وراءه صندوقاً، إنه الصندوق الذي قدم كميراث له. أدار المفتاح الصغير في القفل، فسألته روبي بنبرة ملؤها الشك: «ما هذا؟».

- انظري إلى ما بداخله. طلب لورانس من كيوتو أن يقدمه لي عند عودتي. أخبرتك بما فعله عندما توفيت أمي، وأخبرتك كيف رفع عشيقته إلى منزلة أمي، لكنك لم تصدقيني.

سحب القفل، وفتح غطاء الصندوق. وجد الرسالة التي يريدها، وقدمها لها قائلاً: «قدّم والدي لأفضل صديقة لأمي منزلاً خاصاً، وأسكنها في الجوار، وأمن لها راتباً شهرياً لمدى الحياة. لم أفهم معنى ذلك حتى توفيت، وبدأت بالتفكير بالأمر».

- زاين، لا أعتقد...

- اقرأي هذه الرسالة. اقرأيها كلها، فهي بدون شك رسائل غرامية تثبت ما أقوله. اقرأيها واخبريني ما رأيك. أرأيت كم هو رائع معلمك؟

قرأت روبي الرسالة التي قدمها لها، فإذا هي كما قال تماماً، مبالغ مالية مقابل خدمات سابقة، ثم راتب شهري وملكية منزل. جلست هناك مذهولة. زاين على حق! رفضت تصديقه من قبل، وها هو البرهان في يدها. قالت وهي ترفع نظرها إليه، والحزن يهزها حتى أعماق قلبها:

www.elromancia.com

«زاين!».

- لا تتوقفي الآن. اقرأي رسائل الغرام هذه ما دمت هنا، كي تعرفي الحقيقة كلها.

أمسكت روبي برسالة أخرى. قلبتها بين يديها قبل أن ترفع نظرها إليه وتقول: «لكن هذه ليست رسالة غرامية. إنها رسالة من أمك إلى بوني».

جلس زاين قربها على الأريكة، ونظر إلى الرسالة. قطب جبينه وهو يقول: «دعيني أرى».

نظر إلى الطوابع الإيطالية على المغلف. التاريخ على طابع البريد الباهت اللون هو بعد سنة واحدة من ولادته تقريباً. فتح الرسالة، وبدأ يقرأها. ازداد وجهه عبوساً بعد قراءة محتوياتها. أعاد الرسالة إلى المغلف قبل أن يلتقط واحدة أخرى. إنها أيضاً من أمه إلى بوني، إلا أنها من نيويورك. مرة ثانية نظر سريعاً إلى محتواها، وأعادها ثانية إلى المغلف. بعد قراءة ست رسائل أرسلت من أماكن مختلفة حول العالم، توقف زاين عن القراءة. بدت الرسائل متشابهة، مقدمة صغيرة من أمه عن مكان إقامتهم وعن انطباعاتها، ثم وصف دقيق لزاين الصغير: «زاين قال ذلك»، «زاين فعل ذلك»، «زاين سار خطوته الأولى اليوم»، «أتمنى لو أنك هنا معنا لرؤيته»... فيما راح زاين يقرأ الرسائل، راح وخز خفيف يزحف عبر عموده الفقري.

همست روبي: «كلها رسائل تتحدث عنك. مجرد تقارير عما تفعله، وكيف تنمو وتكبر».

استقر الاحساس القوي بعدم الارتياح بين ضلوعه، لكنه قال: «أعلم».

- هل لاحظت كيف تم توقيع تلك الرسائل؟

هز زاين رأسه، وهو يشعر بألم مفاجئ في حلقه، فعالمه يتحطم بسرعة تحت قدميه: «هل لاحظت ذلك أيضاً؟ ماري وقعت كل رسالة «من صديقتك المحبة إلى الأبد و...».

لم يستطع زاين أن ينهي ما يريد قوله، فأنهت روبي عنه قائلة: «وشكراً لك على هديتك الغالية».

نظرت إليه والألم واضح في عينيها، وعلقت: «أعتقد أنك أنت تلك الهدية الغالية، زاين. ماري كانت تشكر بوني في كل رسالة، لأن بوني هي أمك الحقيقية».

- لا!

انفجرت الكلمة من أعماقه كأنها انطلقت من صاروخ. مع أنه استنتج الأمر نفسه، لكن سماعه لتلك الحقيقة والاعتراف بها بدا أمراً صعباً. قال: «بوني كانت عشيقة أبي، وهي من قتلت أمي».

وقفت روبي، ووضعت يدها على ذراعه قائلة: «زاين! لماذا تكررت العبارة نفسها في كل رسالة؟».

ابتعد زاين عنها وهو يقول: «هذا مستحيل. لدي شهادة ميلاد عليها اسم أمي، ماري! لا مجال لأن تكون بوني هي من ولدتني».

- ربما يمكنك أن تجد شخصاً ما كان حاضراً على ولادتك في المستشفى.

- لم أولد هنا. كان والداي في عطلة في إيطاليا أثناء ولادتي.

جالت أفكارها على كل الاحتمالات، وقالت: «إذاً، ربما بوني كانت معها».

ضرب يده بقوة على رف الموقد، قائلاً: «ليس هناك من ربما. اسم ماري هو على شهادة ميلادي، وليس عليّ أن أصدق أي شيء آخر».

رفعت روبي المزيد من الرسائل من الصندوق، وقدمتها له: «ربما عليك أن تقرأ المزيد... أن تقرأها كلها. كم من الرسائل ستحتاج قبل أن تصدق؟».

أبعد زاين يده عنها ضارباً رسغها، ما أدى إلى وقوع الرسائل وبعثرتها على الأرض.

قال وهو يضع يديه على الرف مديراً ظهره لها: «لا أريد أن أقرأ أي

شيء آخر. لا أستطيع تصديق ذلك، ولا أريد تصديقه».

ربضتْ روبي أرضاً، لتجمع الرسائل. وجدت واحدة كتبت على أوراق زرقاء اللون، وقد تبعثرت تلك الأوراق على الأرض. التقطتها ووضعتها معاً، فلاحظت بسرعة مدى اختلاف طريقة الكتابة. إنها طريقة مألوفة لديها. شعرت بوخز كوخز الإبر في جسمها. هذه الرسالة موجهة إلى زاين!

بإحساس من الابتهاج أسرعت تضع الأوراق بالترتيب. قالت وهي تناوله الرسالة، وقلبها يضرب بقوة في صدرها: «زاين، أعتقد أنك تريد أن تقرأ هذه، فهي موجهة إليك. إنها من والدك».

استدار زاين ببطء، محدقاً بشك بهما معاً: هي والرسالة. هل تحمل هذه الرسالة المزيد من الجنون، أم أن كلمات والده ستؤكد نظرية روبي الغريبة؟ عيناها تدعوانه لأخذها، وفيهما تحد وتعاطف معاً. أخذ الأوراق من يدها، ثم نظر إليها قبل أن يبدأ بالقراءة.

«عزيزي زاين، ولدي.

هذه الرسالة يصعب جداً على والد أن يكتبها، لكن بعد سنوات طويلة من الفراق، علمت أنه يجب علي أن أكتبها لك. اقرأها مع الرسائل التي كتبتها ماري إلى بوني، وسوف تفهم كل شيء، وربما تغفر لي في أحد الأيام. كان يجب أن أخبرك الحقيقة منذ سنوات، لكنني انتظرت طويلاً. بدت لي الأمور أسهل كما هي عليه، وكنا سعداء جميعاً. علمنا أنك ستعرف الحقيقة يوماً، لكننا عملنا جميعاً على تأخير ذلك اليوم. بعد ذلك توفيت ماري وبوني معاً، وفجأة أصبح توقيت معرفتك بالحقيقة من دون أهمية، بل أصبح جزءاً من الماضي».

قيود من حديد أمسكت بأحشاء زاين، وضغطت عليها بقوة، دافعة الهواء من رئتيه. انهار على الأريكة، ثم تابع القراءة.

«كانت أمك ماري تربيك وترعاك كأنك طفلها المدلل، إلا أن بوني هي من أنجبتك. أرادت ماري بشدة أن يكون لديها أطفال، وأنا أردت

إنجاب صبي. تعرضت ماري إلى خمس عمليات إجهاض، وخلال الإجهاض الأخير واجهت الكثير من المتاعب، وأكد الطبيب أنها لن تستطيع الإنجاب مطلقاً في المستقبل. أُصيبت بانهيار كامل، وأنا شعرت باليأس، ولم أملك أية وسيلة لمساعدتها. رأت بوني ما يحصل لماري، وأرادت أن تفعل شيئاً لمساعدة صديقتها، ففكرت بحل لمشكلتها. الطريقة الوحيدة لإنجاب طفل هو أن أتزوج بها، ليصبح لدينا الطفل الذي نحلم به أنا وماري.

عارضت هذه الفكرة، لأنني لم أرغب في القيام بأي شيء يبعدني عن ماري، فأنا أحبها كثيراً. لكن ماري تعلقت بالفكرة، وأرادت تحقيقها على الفور. بدت متأكدة من نجاحها، فهما تشبهان بعضهما: الشعر الأسود والعيون السوداء نفسها. هكذا، تزوجت ببوني وكان ذلك من أصعب الأمور علي. لكن والحمد لله. نجح الأمر، وأصبحت حاملاً. شعرت بالارتياح لذلك، وماري رقصت فرحاً. اعتبرت الأمر معجزة، ولمع الأمل في عينيها لأول مرة منذ سنوات».

رفع زاين عينيه عن الورقة، وقال بصوت ضعيف يعبر عما يجري من عذاب في أعماق روحه وقلبه: «أنت على حق. بوني هي أمي. أبي تزوج بها، ولم تكن يوماً عشيقته. طيلة تلك السنوات...».

طيلة تلك السنوات راح يشتم والده، ويشتم بوني المرأة الرائعة، الحنونة، الحاضرة دائماً لتضمه إلى صدرها أو تخفف آلامه، والتي شجعته في أيام الدراسة. أحبها زاين طوال تلك السنين وهو يكبر، ثم بدأ يكرهها ويحقد عليها، لأنه اعتقد أنها عشيقة والده. لم يحظَ مرة بالفرصة ليقول لها كم كانت شخصاً مميزاً في حياته. حتى إنه لم يبقَ الوقت الكافي ليحضر مراسم دفنها، وهي كانت... أمه!

شعر زاين بالعذاب والألم يمزقانه. لم يكن يعلم. لم يشك بذلك للحظة واحدة. والآن فات الأوان على ذلك. وتابع القراءة.

«ذهبت بوني إلى قريتنا قبل أسابيع قليلة من ولادتك، وكنت قد

طلقتها بعد حملها مباشرة. تمت الولادة على يد قابلة من أقربائي، وهكذا لم يكن من الصعب علينا أن نُسجل اسم ماري كوالدة لك. كل تردد راودني بشأن تلك المسألة تبدد وانتهى في ذلك اليوم. أخيراً حققت ماري حلمها. حملت طفلنا بين ذراعيها، وأنا حصلت على الصبي الذي تمنيته.

اشتريت لبوني منزلاً قريباً من منزلنا، بالرغم من اعتراضها. ماري وأنا أصرينا على إعالتها وإبقائها قربنا. هكذا كبرتَ وأنت محاط بحب المرأتين معاً: بوني وماري. كلتاهما أحبتاك، وأصبحتا مقربتين من بعضهما أكثر من ذي قبل. قلت لنفسي إنني سأخبر زاين الحقيقة يوماً ما، وسيعلم بكل شيء، لكن ماري أحبت كثيراً فكرة أنها أمك، وأنا لم أستطع أن أفعل أي شيء يسيء إليها. ليس قبل أن تصبح مستعدة لذلك. كانت تشعر بالفخر لكونها أمك، وتفخر جداً أنك ابنها. كما أنك كنت تحب بوني كثيراً في مطلق الأحوال، لذا فكرت أن ليس للأمر أهمية، لأنك لن تستطيع أن تحبها أكثر لو علمت أنها أمك. لكن عندما توفيتا معاً في ذلك اليوم، علمت أنني انتظرت كثيراً، وأن لا جدوى من إخبارك بالأمر الآن. فأنت ستكرهني على أي حال. ستكرهني لأنك لم تحظَ بفرصة لتعلم أن بوني هي أمك الحقيقية. هذا ما حدث بالفعل. كنت غاضباً وحزيناً، غاضباً جداً كما تتذكر بدون أي شك. في النهاية لم أشعر أن للأمر أهمية لأنك غاضب مني لأسباب خاطئة، فأنا استحقيت غضبك، وكرهك. غادرت برووومي نهائياً، وأنا تقبلت سخطك كعقاب لي. بطريقة ما اعتقدت أنني خسرتك، عندما خسرت المرأة التي هي حب حياتي، وخسرت أم ولدي. لكنني بقيت دائماً فخوراً جداً بك».

قرأ زاين ما تبقى من الرسالة من خلال غشاء رقيق من الدموع يخفي الكلمات، لكنه كان غير قادر على إخفاء العاطفة. أخيراً تنهد، ووضع الرسالة جانباً، ثم تراجع إلى الوراء على مقعده.

- زاين!

فتح عينيه فرآها قربه، تميل فوقه برقة وعطف، كأنها ملاك قادم من السماء لرعايته.

- أحضرت لك شراباً دافئاً. فكرت أنك قد ترغب به.

لم يدرك حتى أن روبي غادرت الغرفة، وعادت الآن لتهتم به. كاد يقول لها إنه يحبها من جديد، لكنه لا يستطيع أن يخاطر بإغضابها الآن، في حين أن عليه الاعتذار عن الكثير من الأمور. بعد معرفة هذه الأسرار الليلة، لديه المزيد والمزيد من الاعتذارات. قال: «شكراً لك».

رشف رشفة من كوب الشاي بالنعناع. إنه شهي، وقد بعث الدفء على الفور إلى أماكن في جسمه أصبحت باردة وجامدة. بعد قليل فكر زاين بشيء آخر يستطيع قوله. شيء لم يصدقه من قبل أبداً، لكنه علم الليلة أنه صحيح. شيء هو يعلم أنها لا تستطيع رفض سماعه.

قال: «كان والدي رجلاً صالحاً. ليتني أدركت ذلك في وقت سابق».

قالت روبي والدموع تنهمر من عينيها: «آه، زاين! أجل، كان كذلك».

- أريد قراءة ما تبقى من الرسائل، وبعد ذلك سأعيدك إلى منزلك. كما أريدك أن تقرأي رسالة لورانس، بعد أن كنت البادئة في اكتشاف الأمور، فربما تجدين فيها شيئاً آخر لم أنتبه له.

ابتسمت روبي، وكورت جسمها على الأريكة المقابلة له وهي تقول: «إذا كنت متأكداً من رغبتك تلك، لأنني أستطيع الانتظار حتى تنتهي».

سلمها الأوراق الزرقاء اللون، وقال لها: «لن أستغرق مدة طويلة من الوقت».

شدّ صندوق اللؤلؤ إليه، وأمسك بكومة الرسائل. رسالة بعد رسالة تبعت ذلك النموذج الذي لاحظاه هو وروبي منذ البداية. لكنه الآن يقرأها ليس لأنها تقارير عما كان يفعله أثناء طفولته، بل لأنها وصف لمراحل طفولته أثناء العطل من خلال عيني المرأة التي كانت أمه القانونية

إلى المرأة التي أنجبته. من خلال قراءة تلك الرسائل، بدا واضحاً له كم كانت ماري وبوني مقربتين من بعضهما.

اعتقد زاين أنه وصل إلى الرسالة الأخيرة، لكنه عاد فوجد شيئاً ما في قعر الصندوق كاد ألا يلاحظه. إنها بطاقة بريدية. أخرجها على الفور. نظر إلى الصورة التي أكملت وزخرفت من جوانبها وزواياها. إنها صورة لديزني لاند في لوس أنجلس. ما زال يتذكر تلك الرحلة، فقد كان في الثامنة من عمره. ما الذي كتبته ماري عنه؟ أدار البطاقة، وشعر بالصدمة حين تعرّف على خربشته: «خالتي بوني الحبيبة: ديزني لاند رائعة، لكنني أشتاق إليك كثيراً. أحبك جداً جداً جداً. زاين».

الحمد لله! مهما حدث بعد موتها، لقد أحب بوني وقال لها ذلك. هذا برهان واضح على أنها كانت تعلم أنه يحبها. وضع البطاقة جانباً ولاحظ أن روبي قد استلقت، واضعة رأسها على وسادة. لاحظ أن وجهها نَعِمَ بالهدوء أخيراً، فيما شعرها مستلق بتموج حول وجهها. لا بد أنها تخلت عن فكرة انتظاره، ونامت. لا عجب من ذلك بعد سفرها الطويل حول العالم، وقدومها البارحة لتعيش يوماً كالجحيم. شعر بقلبه يفرح ويحزن في اللحظة نفسها لرؤيتها. فهو يحبها، لكنها لا تريده. لماذا لا يستطيع التواصل معها بصدق كما فعل في تلك البطاقة البريدية عندما كان طفلاً صغيراً؟ لماذا يصعب عليه كثيراً الآن أن يقول ما يجول في أعماق قلبه؟

لم يرغب في إزعاجها بحملها إلى سرير ما، فالأريكة واسعة ومريحة. أحضر غطاء خفيفاً، وضعه بلطف عليها. تنفس بارتياح عندما لامس خدها برقة، ورأى ابتسامة رقيقة حلوة على شفتيها حتى وهي نائمة.

- أحلاماً سعيدة روبي!

* * *

جلست روبي على الأريكة، ثم أبعدت الغطاء الذي وضعه زاين

عليها، وسارت نحو المطبخ. وجدته هناك، يحمل السماعة ويصغي بانتباه شديد.

كيوتو! لا بد أن هذا خبر وفاته. جلست على المقعد مترنحة، وضع زاين سماعة الهاتف جانباً، ونظر إليها قائلاً، مؤكداً مخاوفها: «إنها المستشفى».

تقدمت خطوة أخرى، واضعة أصابعها على المقعد، خائفة من الابتعاد عنه. سألت: «ماذا هناك؟».

تنفس بارتياح، ثم ظهرت ابتسامة حلوة على شفتيه: «وضعه الصحي أحسن، ولم يعد في غرفة العناية. لكنهم ما زالوا غير متأكدين مما حدث معه، وهم بحاجة إلى إجراء المزيد من الفحوصات، لكنهم يعتقدون أنه بخير، وقد ينجو».

الحمد لله! لفت ذراعيها حوله: «آه، زاين! هذه أخبار رائعة».

طوقتها يداه، وضغطتا عليها بحنان. أحنى رأسه، وأراحه على رأسها، ثم تنفس بعمق. بدت رائحته عطرة، فقد استحم للتو. عناق المواساة هذا تحول إلى عناق له معنى مختلف كلياً، حين بدأت مشاعر الشوق تلتهب بينهما. تنهدت روبي بعمق، فهي ما زالت غير متأكدة إلى أين سيتجهان، لكنها تعلم أن هذه المرحلة لم تنتهِ بعد. ما زال وجهها مدفوناً في صدره، حيث يسهل عليها الاعتراف أنها أخطأت بحقه. قالت: «آسفة، زاين».

جمدت يداه على ظهرها وهو يسألها: «ما الذي يجعلك تشعرين بالأسف؟».

- على مقارنتك بوالدك، وعدم التصديق أنه قادر على خداعك.

- مع أنني كنت مخطئاً جداً. لا شيء مما كنت أعتقده صحيح.

- لكنه تركك تفكر كما تشاء، وهذا أثر على تصرفاتك وما تشعر به. اعتقادك بأنه خان أمك صبغ كل أفعالك. في الواقع، هو لم يعطك أي خيار، وأنا رفضت أن أرى ذلك، ولم أثق بك.

- والآن... ماذا؟

تنفست عطره بقوة قبل أن تقول: «كان عليّ أن أثق بك. لا أستطيع التصديق أن لورانس فعل ذلك».

قال: «أنا أستطيع، علم أن عليه إخباري بالأمر، لكنه انتظر طويلاً، فهو لم يشأ أن يحدث أي خلاف بيني وبين أمي. وعندما توفيتا معاً، لم يعد هناك من جدوى في إخباري، فقد فات الأوان لأعرف أن بوني هي من ولدتني، ومن المحتمل أن أكرهه بسبب الخداع الذي مارسوه عليّ».

- لكنك كرهته بأي حال.

- أعلم. أظن أنه لم يسامح نفسه مطلقاً على زواجه القصير من بوني، ورحيلي كان عقابه.

- آه، زاين! آسفة جداً.

قال: «أنا من عليه أن يشعر بالأسف. وضعتك في الجحيم بسبب اعتقادي أنك وأبي...».

همست: «صه! أنا تركتك تعتقد ذلك. كان بإمكاني توضيح الأمر لك في أي وقت، لكنني لم أفعل».

أبعدها قليلاً عنه، ليتمكن من النظر إلى وجهها وهو يسألها: «لكن... لماذا أردتني أن أصدق ذلك؟».

- لأنني شعرت بالخوف منك.

رأت روبي كيف تبدلت ملامح وجهه، فهزت رأسها بحزم وهي تتابع: «لا! ليس كمثل شعوري نحو ذلك المعتوه، شعرت بالخوف منك بطريقة مختلفة. شعرت بالانجذاب نحوك ولم أستطع أن أفهم السبب. أردت أن أكرهك، مع ذلك لم أستطع أن أتجاهل ما أشعر به نحوك. تركتك تفكر كما تشاء، لأن ذلك سيجعلني بعيدة عن متناولك، ويؤمن الحماية لي. حين اعتقدت أنني سأرحل بعد موعد العرض الأول للمجموعة، فكرت أن أخبرك الحقيقة قبل رحيلي».

قال زاين وهو يبتسم بالرغم من أن ابتسامته بدت ممزوجة بالحزن:

«شكراً لك. مع أن ما فعلته لا يقارن مع السوء الذي اقترفته بحقك، لكن شكراً لك».

شدها إليه، وضمها بقوة، رافعاً إياها عن الأرض، وفمه فوق شعرها، فشعرت بأنفاسه دافئة ومنعشة.

قال بصوت ناعم كالعسل: «لدينا أعمال لم تنتهِ بعد، لكن الآن علينا الاهتمام ببعض الأمور».

وضعها على الأرض من جديد. سألته روبي: «هل نستطيع زيارة كيوتو؟».

- هذا هو المكان الذي سنقصده أولاً، ثم هناك عمل آخر عليّ القيام به.

* * *

لم تستطع نسائم الشاطئ أن تخترق الهواء الجاف لذلك النهار، فالهواء لاذع حتى إنه يكاد يجرح الشفاه ويحرق الصدور، لكن زاين بالكاد لاحظ ذلك، فلديه أمور أكثر أهمية تشغل باله. حمل بين ذراعيه الأزهارالتي اشتراها من البلدة ليضيفها إلى أزهار البوغنفليا الجميلة التي أحضرها من المنزل. لم يذهب إلى هناك منذ جنازة والده، ولم ينظر إلى تلك الناحية ولو مرة واحدة بعد ذلك. لم يرَ مطلقاً الشاهد الحجري، ولم يقرأ أبداً الكلمات، لكنه اليوم فعل.

ركع إلى جانب قبر المرأة التي أنجبته إلى الحياة. لمس الحجر الحار. لامس بإصابعه أحرف اسمها المطبوعة على الرخام، تاريخ وفاتها، وقال لها إنه آسف.

وضع الأزهار على قبرها، وكذلك فعل مع القبر المجاور. القبر الذي كبر وهو يؤمن أن المرأة المدفونة فيه هي أمه، وقال لها بعض الكلمات أيضاً.

راقبته روبي من مكانها تحت ظلال شجرة وهو يتحرك نحو القبر الثالث، وكأنه لم ينتهِ بعد. هي تعلم أن هذا القبر لوالده. لم تدرك أنه

www.elromancia.com

أراد القدوم إلى هنا بعد زيارة كيوتو الذي بدا سعيداً لرؤيتهما معاً، لكنه اعتذر لأنه سبب لهما القلق.

ساعدت زاين في جمع الأزهار من الحديقة معتقدة أنها لكيوتو في المستشفى. راقبته والدموع تغشى عينيها وهو ينحنى نحو قبر والده ويقول كلاماً لم تستطع أن تسمعه. ثم رأته يضع شيئاً ما في الأرض، شيئاً صغير، قبل أن يسوي الأرض جيداً فوقه.

بعدئذٍ وقف زاين واستدار نحوها فشعرت كأن حياتها كلها جمدت في تلك اللحظة. رأت الألم الصارخ في عينيه، وكادت تشعر بذلك الألم يصل إليها. فجأة أدركت ما الذي قصده لورانس عندما طلب منها طلبه الأخير: اعتني بزاين!

كان يعلم أن معرفة الحقيقة ستؤلمه وتحطمه، وكان يعلم تماماً مدى تأثره بها. أراد من روبي أن تجمع شتاته وتبدد حزنه.

أصبح زاين بقربها، وما زالت عيناه ترسلان إليها إشارات لا تستطيع تجاهلها. لم تستطع إلا أن تتعاون معه. فتحت فمها لتقول شيئاً ما، لكنه منعها.

قال، بنبرة صوت مشدودة: «لا! لا داعي لتتكلم. ليس الآن».

قاد زاين السيارة عائداً إلى المنزل، وهذه المرة لم تعترض على الذهاب معه، ولم تتحدث مطلقاً. أدركت أن الصمت في هذه المرحلة هو أفضل ما يمكنها تقديمه له.

ومن دون أية كلمة أمسك زاين بيدها وقادها إلى الداخل. هناك في غرفة الجلوس ضمها إليه، وعانقها. عناقه ذاك أخبرها بأكثر من ألف كلمة وكلمة. لقد غيّر عالمها كله.

ضمته روبي إليها، مدركة أن عليها التخفيف من أحزانه. عليها أن تشفي جراحه، وتمحو كل مرارة الماضي من حياته.

بدا عناقه رقيقاً، لطيفاً لدرجة أنها كادت تذرف الدموع... دموع الحب... دموع تحولت إلى نجوم مضيئة في حياتهما معاً.

همست: «أحبك».

كانت لا تزال بين ذراعيه واضعة رأسها على صدره. رفع زاين رأسه قائلاً: «ما الذي قلته؟».

نظرت روبي إلى وجهه وابتسمت له. ابتسمت لرؤية الارتياك الذي لمحته هناك: «قلت، أحبك».

- هل تفعلين، حقاً؟

ابتسمت، وهزت رأسها قائلة: «آه! أجل، ومن كل قلبي».

رمش زاين بعينيه متسائلاً: «متى حدث ذلك؟».

- أدركت ذلك في الصباح الذي كنا فيه معاً في سيدني. النهار الجديد أخبرني أنني أحبك.

- لماذا لم تخبريني بذلك حينها؟

- لم أستطع. ليس بعد ما قلته لي بأن ليس هناك من حاجة للحب. اعتقدت أن ليس هناك أي أمل لنا معاً.

- وأنا لم أخبرك إلا ليلة البارحة، عندما تقبلت أخيراً الحقيقة بنفسي.

تنهدت روبي. هل كل ما حدث جرى فقط ليلة البارحة؟ يبدو لها أن الكثير من الأمور جرى في غضون ساعات قليلة.

- أحياناً كنت أشعر أنك تكن لي مشاعر وعواطف، لكن في أوقات أخرى...

- لم تكوني واثقة بي.

- آسفة.

أمسك بيدها بين يديه، وقبّل رؤوس أصابعها.

- لم أكن أستحق ثقتك، ليس في ذلك الوقت. علمت أنني أريدك، لكن لم أعلم لماذا. وجدت نفسي ممزقاً بينك وبين أثقال الماضي الكئيب.

- والآن؟

- تلك الأثقال أزيحت عن كاهلي، وأصبحت فعلاً من الماضي. أقمت سلاماً مع والدي، وكذلك مع أمي... أقصد كلتيهما. والآن، لم يعد هناك إلا أنت.

ضغط على يديها معاً بين يديه، وتابع: «شعرت باليأس البارحة عندما اعتقدت أنني خسرتك إلى الأبد. لا شيء يمكن مقارنته بذلك الاحساس بالخسارة، ولا شيء يمكنه أن يكون مدمراً أكثر».

قالت روبي: «كنت غاضبة جداً، فقد أتيت لأخبرك أنني قررت الموافقة على خطتك المجنونة بشأن الزواج، وكنت مصممة على أن أجعلك تقع في غرامي».

أسقط زاين رأسه قائلاً: «أنا آسف جداً. لا يمكنني أن أتخيل شعورك عندما وصلت ووجدت...».

وضعت إصبعها على فمه: «صه! لا أريد التحدث عن ذلك. هناك أمر قمت به ولم أفهمه».

- ما هو؟

- في المقبرة، رأيتك تضع شيئاً ما في قبر والدك، فما هو؟

تنفس زاين بارتياح، وقال: «إنه مفتاح صندوق اللؤلؤ».

- أتعني صندوق الرسائل؟ لكن، لماذا؟

- من المحتمل أنه تصرف جنوني، لكنني بحاجة لأن أفعل ذلك. حان الوقت لدفن الماضي كله، لاسيما ذلك الجزء الذي يتعلق بالمرارة والخداع. لا يمكنني تبديل ما حدث، لكن من الآن وصاعداً لن يكون هناك أي أسرار في حياتنا. الحقيقة فقط.

قالت روبي مستحسنة كلماته وتصرفاته: «إذاً أخبرني الحقيقة، أريد أن أسمعها منك مرة ثانية، وهذه المرة أريد أن أصدقها بالفعل».

لمعت عيناه وهما تحدقان بها: «أحبك، روبي. بكل ما في قلبي من عواطف وما في روحي من أحاسيس. أحبك إلى الأبد».

تنفست وهي تشعر بقلبها يكبر ويتنفخ من الفرح والفخر.

- وأنا حقاً أصدقك، لأنني أحبك أيضاً، وأقول لك: «نعم، سأتزوج بك».

أمال رأسه متسائلاً، فكورت شفتيها بمرح، وسألته: «ما زلت تريد الزواج بي. أليس كذلك؟».

- بالطبع، أريد الزواج بك، لكن لا أريد أن أجعلك تتسرعين.

- لكنني أريد أن أتسرع، لأنني أريد أن أنجب الكثير من الأطفال.

سألها وهي تشد رأسه نحوها: «أطفال؟».

- آه! أجل. الكثير الكثير منهم، فأنت ستنجب سلالة جديدة من عائلة باستياني.

نظر إلى عينيها قائلاً: «أحب سماع هذا الكلام».

ابتسمت روبي معلقة: «في هذه الحالة علينا أن نتزوج في أقرب وقت ممكن».

ضمها زاين إليه وهو يقول: «آه، حسناً! لا يمكنني أن أوافق على أمر أجمل من هذا».

الخاتمة

عيد الميلاد مناسبة مليئة بالصخب والمرح. اجتمعت العائلة كلها في إحدى قاعات الجلوس الأنيقة في فندق بوتيك كلمنجر، بعد الاحتفال الذي تم في الكنيسة لمباركة زواج روي وزاين الذي تم بسرعة منذ عدة أشهر.

صممت صافي ثوب الزفاف الثاني لروبي خصيصاً للمناسبة، إنه فستان رائع من اللونين الفضي والأزرق المناسب تماماً لعيني روبي، ما جعلها تبدو قبلة الأنظار وهي تسير عبر الممر الذي سارت عليه أختها أوبال منذ أكثر من خمس سنوات.

مضى وقت طويل منذ أن اجتمعت الشقيقات الثلاث، لكنهن الآن لم يعدن ثلاث فتيات فقط، فأوبال هناك مع دومينيك وولديها الصغيرين، آلي وغيغليلمو، أما صافي وخالد فقدما بطائرتهما الخاصة مع طفليهما التوأمين، عماد وخليل، وأم البنات الثلاث بيرل، مستمتعة بتجربة أن تكون جدة للمرة الرابعة.

لو أن كيوتو بصحة مناسبة للسفر لأحضراه معهما إلى سيدني. لكنه سعيد الآن في المنزل. أصبح ضعيف البنية، لكنه سعيد لأنه ما زال حياً. وهو ما زال مصراً على إدارة المنزل بنفسه.

تم تبادل هدايا الميلاد وهدايا الزفاف المتأخرة، قدمت روبي هدايا خاصة لكل منهم. أهدت أوبال عقداً من اللؤلؤ والذهب والحجارة الكريمة المشعة، سوارين من الزفير لتوأمي صافي، أما لأمها فقدمت عقداً مزخرفاً باللؤلؤ فيه أحجار كريمة ثلاثة تحمل اسماء بناتها، أما

للرجال فقدمت أزراراً مميزة لأكمام القمصان.

عرضت آلي سوارها بفخر على الجميع، أما الصغير غيغليلمو فلعب بألعابه الجديدة وهو يتساءل ما سر هذه الضجة.

مدّ زاين يده نحو زوجته عندما انتهت من تقديم الهدايا. شدها نحوه لتجلس قربه، مستمتعاً بحرارة جسدها. تمنى فجأة لو أنهما في مكان آخر أكثر خصوصية حيث يستطيع أن يضمها إليه ويعانقها، فهي مؤخراً تبدو أكثر جمالاً من ذي قبل.

قال وهو يضغط بشفتيه على شعرها: «أحسنت صنعاً. مرة أخرى أثبتت تصاميمك أنك نجمة بالفعل. أنت لست فقط جميلة، زوجتي الموهوبة، بل أنت رائعة».

اقتربت منه روبي أكثر وهمست: «إذن أتمنى ألا تبدل رأيك عندما تفتح هذه الهدية. فقد صنعتها لك بنفسي».

لمعت عيناها بالمرح والخداع وهي تنظر إليه، الرزمة الصغيرة ما زالت في يدها، وشريط ذهبي يقفلها.

شتم زاين نفسه لغبائه. لقد تبادلا الهدايا قبل أن يغادرا برووميي. قدم لها زاين سيارة مرسيدس فضية، أما هي فقدمت له يختاً جديداً كبيراً يدعى بوني ماري. كان مفاجأة كبرى، جعلت الدموع تلمع في عينيه. لم تكن لديه أية فكرة أنها تخطط لمزيد من الهدايا هنا.

- لكنني لم أحضر لك أي شيء.

همست بثقة: «بل فعلت. قدمت لي هديتك من قبل».

رفعت إحدى يديه. ووضعتها فوق بطنها، ثم تابعت: «هديتك هنا، وهي أغلى هدية بالنسبة لي. هدية حبنا».

شعر زاين بالدماء تتدفق في عروقه، كأنها تغني وترقص محتفلة بهذا الخبر.

قال بنبرة مليئة بالدهشة: «طفل!».

- طفلنا.

قال وهو يضمها إليه: «آه! أحبك... أحبك كثيراً».

ثم عانقها عناقاً طويلاً يقول لها أحبك، وشكراً لك إلى الأبد.

لاحظت صافي عناقهما أولاً، فقالت: «هاي، أنتما... هل هناك ما يدعو إلى هذا العناق؟».

ضحكت روبي ما إن ابتعد زاين عنها على مضض.

نظر زاين إليها وسألها: «ماذا؟ هل نخبرهم؟».

ابتسمت روبي للرجل الذي تحبه، وقالت: «لا أسرار، ليس الآن وإلى الأبد».

نظر إليها بإعجاب واحترام، وأحبها أكثر من ذي قبل. ثم عانقها من جديد، ليتأكد أنها تعلم بذلك، قبل أن يُقدما معاً على إخبار الجميع بالخبر السعيد.

انتهت

www.liilromancia.com
مـــرمـــوريـــة